



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الصف الحادي عشر
التعليم الديني



الطبعة الأولى



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الصف الحادي عشر
التعليم الديني

تأليف

أ/ نوال عبدالله جميعان (مشرفاً)

أ/ رابعة يوسف المكي

أ/ سعد محسن الشمري

أ/ منى فوزان العبيد

أ/ حمدي علي الجوهري

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ

٢٠١٤ / ٢٠١٥ م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج

إدارة تطوير المناهج



الطبعة الأولى: ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



صَاحِبُ السُّمُولِ الشَّيْخُ صَبَّاحُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الصَّبَّاحِ
أَمِيرُ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ



سَيِّدُ الشَّيْخِ نَوَافُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ السَّبَّاحِ
وَلِيَّ عَهْدِ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

المحتوى

الدرس	الموضوع	الآيات	الصفحة
	المقدمة		١١
	سورة النمل		١٣
الأول	القرآن الكريم كتاب الله المعجز	(٦-١)	١٤
الثاني	كليم الله موسى - ﷺ	(١٤-٧)	٢١
الثالث	فضل العلم	(١٩-١٥)	٣١
الرابع	سليمان - ﷺ والهدد	(٢٨-٢٠)	٤٤
الخامس	كتاب سليمان - ﷺ	(٣٥-٢٩)	٥٣
السادس	عرش بلقيس ملكة سبأ	(٤٠-٣٦)	٦٢
السابع	إسلام بلقيس ملكة سبأ	(٤٤-٤١)	٦٨
الثامن	دعوة صالح - ﷺ - قومه إلى التوحيد	(٥٣-٤٥)	٧٥
التاسع	قصة قوم لوط - ﷺ	(٥٨-٥٤)	٨٦
العاشر	من أدلة توحيد الله تعالى	(٦٤-٥٩)	٩٢
الحادي عشر	الإيمان بالبعث والجزاء	(٧٢-٦٥)	١٠٢
الثاني عشر	الإسلام دين الحق والهداية	(٨١-٧٣)	١١٣
الثالث عشر	من أهوال يوم القيامة (١)	(٨٦-٨٢)	١٢١

١٣١	(٨٧-٩٠)	من أهوال يوم القيامة (٢)	الرابع عشر
١٣٧	(٩١-٩٣)	إن عليك إلا البلاغ	الخامس عشر
١٤٣		سورة القصص	
١٤٤	(٩-١)	فرعون الطاغية	السادس عشر
١٥٧	(١٠-١٧)	موسى - ﷺ - يبلغ أشده في بيت عدوه	السابع عشر
١٦٥	(١٨-٢٤)	لا ملجأ ولا منجأ من الله تعالى إلا إليه	الثامن عشر
١٧٣	(٢٥-٢٨)	موسى - ﷺ - في ضيافة شعيب	التاسع عشر
١٨١	(٢٩-٣٢)	خروج موسى - ﷺ - بأهله	العشرون
١٨٩	(٣٣-٣٧)	رسالة موسى وأخيه هارون عليهما السلام	الحادي والعشرون
١٩٥	(٣٨-٤٥)	وأضل فرعون قومه وما هدى	الثاني والعشرون
٢٠٣	(٤٦-٥١)	حاجة الأمم إلى الرسل والرسالات	الثالث والعشرون
٢١١	(٥٢-٦١)	سنن الله تعالى في خلقه	الرابع والعشرون
٢٢٠	(٦٢-٦٧)	من مشاهد يوم القيامة	الخامس والعشرون
٢٢٦	(٦٨-٧٠)	من صفات الرب - ﷻ - وأفعاله	السادس والعشرون
٢٣٥	(٧١-٧٥)	من دلائل التوحيد	السابع والعشرون
٢٤٢	(٧٦-٧٨)	فتنة المال : قصة ومثال	الثامن والعشرون
٢٥٠	(٧٩-٨٢)	عاقبة المتكبرين	التاسع والعشرون
٢٥٨	(٨٣-٨٨)	ختم سورة القصص	الثلاثون
٢٦٦		قائمة المراجع	

المقدمة

نتوجه إلى الله وحده بالحمد والثناء ، ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء ، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه الفضلاء ، وبعد : فهذا كتاب التفسير للصف الحادي عشر في التعليم الديني ، وهو يحتوي على تفسير سورتي (النمل و القصص) وفيهما من الفوائد والعبر مالا يحصر في هذه المقدمة البسيطة ، ويمكننا أن نذكر شيئاً مما يتعلق بالسورتين إجمالاً . فسورة (النمل) سورة مكية وآياتها ثلاث وتسعون آية ، سميت بهذا الاسم لاشتمالها على مقالة النملة الدالة على نزاهة الأنبياء وأتباعهم عن ارتكاب المكروه عمداً ، وفيها قصص بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهي بمثابة تسلية للرسول - ﷺ - على ما يلقاه من أذى قومه وعنادهم وإصرارهم على رفض الدعوة .

وبعدها سورة (القصص) وآياتها ثمان وثمانون آية ، وسميت بهذا الاسم لأن الله تعالى ذكر فيها قصة النبي موسى - ﷺ - من حين ولادته إلى حين رسالته ، وفيها من غرائب الأحداث ما يتجلى فيه بوضوح عناية الله - ﷻ - بأوليائه وخذلانه لأعدائه . وسنرى في دروس الكتاب أن محور مواضيع سورة القصص هو الاهتمام بجانب العقيدة والتوحيد والرسالة والبعث ، وهي تتفق في المنهج والهدف مع سورة النمل ، كما اتفقت في جو النزول فهي تكمل أو تفصل ما أجمل في السورتين قبلها .

أملين أن ينفع الله تعالى المتعلم بما في هذا الكتاب من العبر والعظات والدروس ، ولما فيه من الخير والصالح لنفسه ولمجتمعه .

والله ولي التوفيق ، ، ، ،



سورة النمل



بين يدي السورة :

خلاصة ماتضمنته سورة النمل من مقاصد عظيمة ومعانٍ جلية :

- ١ - التنويه بشأن القرآن الكريم وذكر كونه هدى ورحمة للمؤمنين .
- ٢ - ترسيخ معاني التوحيد والعقيدة بذكر قصص الأنبياء والمرسلين كموسى وسليمان وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام .
- ٣ - إقامة الأدلة على توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والردّ على المشركين .
- ٤ - بيان بعض أهوال القيامة وشدّتها .
- ٥ - بيان دعوة النبي ﷺ - ومنهجه فيها وذكر بعض وسائلها .
- ٦ - إثبات الحمد لله تعالى .

التمهيد :

القرآن الكريم كتاب الله تعالى المعجز يأسر قلوب العباد وتتشعر له أبدانهم فلا يسعها إلا أن تصدقه التصديق الكامل .

خرج النبي - ﷺ - ذات يوم إلى المسجد الحرام ، وهناك جمع كبير من قريش ، كان فيه ساداتها وكبرائها ، فقام فيهم ، وأخذ يتلو سورة النجم ولم يكن أولئك الكفار يستمعون لكلام الله ، لأن أسلوبهم المتواصل كان هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضاً ، من قولهم ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ ^(١) فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة ، وقرع أذانهم كلام إلهي رائع عظيم لا يحيط بروعته وجلالته البيان ؛ تفانوا عما هم فيه ، وبقي كل واحد مصغياً إليه ، لا يخطر بباله شيء سواه ، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ^(٢) ثم سجد ، لم يتمالك أحد من الكفار نفسه حتى خرّ ساجداً ، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين ، فما تمالكوا إلا أن يخروا لله تعالى ساجدين .

النص

قال تعالى :

﴿ طَسَّ تِلْكَ ءَايَةُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ^(١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ^(٢) الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ^(٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّاتٌ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ^(٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ^(٥) وَإِنَّكَ لَلنَّقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ^(٦) ﴾

١- سورة فصلت (٢٦) .

٢- سورة النجم (٦٢) .

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
طس	أحرف مقطعة الله أعلم بمراده منها .
مبين	بين واضح .
هم يوقنون	واليقين هو العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر ، و اليقين نقيض الشك ، والعلم نقيض الجهل ، تقول علمته يقيناً .
يعمّهون	العمه التحير والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه وأين الصواب .
وإنك لنتلقى	وإنك لتأخذ القرآن من عند الله الحكيم العليم .
لذن	لذن ظرف زمني ومكاني بمنزلة عند .
حكيم	ذو حكمة وحكم وإحكام وهو إتقان الأمور .

الشرح الإجمالي للآيات :

فواتح السور :

اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور ، فمنهم من قال : هي مما استأثر الله تعالى بعلمه فردوا علمها إلى الله تعالى ولم يفسروها ، ومنهم من فسرهما واختلفوا في معناها فقال بعضهم : إنما هي أسماء السور . قال مجاهد : الم وحم والمص وص فواتح افتتح الله تعالى بها القرآن ، وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيك ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة من القرآن وهذا القول أظهر .

القرآن الكريم كتاب هداية :

﴿ طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾

يخاطب الله تعالى نبيه محمداً - ﷺ - إن هذه الآيات التي أنزلتها إليك يا نبيِّنا آيات القرآن ، وآيات كتاب مُبين ، يبين لمن تدبره ، وفكر فيه بفهم أنه من عند الله تعالى أنزله إليك ، لم تتخرَّصه أنت ولم تتقوله ، ولا أحد سواك من خلق الله تعالى ، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله ، ولو تظاهر عليه الجن والإنس ، وهذا الكتاب الذي بين يديك ﴿ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقوله ﴿ هُدًى ﴾ صفة القرآن ، فهذه الآيات بيان من الله تعالى يبين به طريق الحق وسبيل السلام .

و ﴿ وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي بشارة لمن آمن به ، وصدَّق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد ، وفي تخصيص المؤمنين بالهدى والبشرى تنويه بأن القرآن لا ينتفع به إلا هم .

ثم إن السورة الكريمة تعرض صفة المؤمنين الذين يجدون القرآن الكريم هدى وبشرى بقوله ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾ هو هدى وبشرى لمن آمن بها فأقام الصلاة فرضها ونفلها فيأتون بأفعالها الظاهرة ، من أركانها وشروطها وواجباتها بل ومستحباتها ، وأفعالها الباطنة وهو الخشوع الذي هو روحها ولبُّها باستحضار قرب الله تعالى وتدبر ما يقول المصلي ويفعله ، ويؤدون الزكاة المفروضة لمستحقيها فيطهرون أجسادهم من دنس المعاصي وهم مع إقامتهم الصلاة ، وإيتائهم الزكاة الواجبة يؤمنون بالمعاد إلى الله تعالى بعد الممات .

أهل الشقاء :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾

لما ذكر الله - ﷻ - أهل السعادة ذكر بعدهم أهل الشقاء وبين صفاتهم فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ٤ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴾ ٥ فبين تعالى أن من أبرز ما يميزهم وهو سبب شقاءهم أنهم لا يصدقون بالبعث ويكذبون باليوم الآخر ويستبعدون وقوعه .

والإيمان بالآخرة هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات ، ويضمن القصد والاعتدال في الحياة والذي لا يعتقد بالآخرة لا يملك أن يحرم نفسه شهوة أو يكبح فيها نزوة ، وهو يظن أن الفرصة الوحيدة المتاحة له للمتاع هي فرصة الحياة في الحياة الدنيا ، وهي قصيرة مهما طالت وما تكاد تتسع لشيء من مطالب النفوس وأمانيتها التي لا تُنال ! ثم ما الذي يمسكه حين يملك إرضاء شهواته ونزواته ، وتحقيق لذاته ورغباته وهو لا يحسب حساب وقوفه بين يدي الله تعالى ، ولا يتوقع ثواباً ولا عقاباً يوم يقوم الأشهاد .

ومن ثم يصبح كل تحقيق للشهوة واللذة مزيناً للنفس التي لا تؤمن بالآخرة ، تندفع إليه بلا معوق من تقوى أو حياء ، والنفس مطبوعة على أن تحب ما يلذ لها ، وأن تجده حسناً جميلاً ما لم تهتد بآيات الله تعالى ورسالاته إلى الإيمان بعالم آخر باق بعد هذا العالم الفاني ، فإذا هي تجدد لذتها في أعمال أخرى وأشواق أخرى تصغر إلى جوارها لذائد البطون والأجسام ! والله - ﷻ - هو الذي خلق النفس البشرية على هذا النحو وجعلها مستعدة للاهتداء إن تفتحت لدلائل الهدى ، مستعدة للضلال إن طمست منافذ الإدراك فيها . ومشيتته نافذة - وفق سنته التي خلق النفس البشرية عليها - في حالتي الاهتداء والضلال .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ ﴾ حسنا لهم الحال الذي هم فيه ، ومددنا لهم في غيهم ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يتيهون في ضلالهم فتجدهم يترددون في الدنيا متحيرين على الاستمرار لا يهتدون إلى طريقة ولا يقفون على حقيقة وكان هذا جزاءً على ما كذبوا من الدار الآخرة

كما قال تعالى : ﴿وَنَقَلِبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصِرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١٠) ، وهم في الآخرة هم الأخسرون ، وهم أشدُّ الناس خُسْرَانًا ، وأعظمهم خيبةً .
﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ .

ثم مهد الله سبحانه وتعالى مقدمةً نافعةً لما سيذكره بعد ذلك من الأخبار العجيبة ، فقال :
﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي : يُلقى عليك فتلقاه ، وتأخذه من لدن كثير الحكمة ، والعلم ، قيل : إن لدن هاهنا : بمعنى عند . أي يلقى عليك هذا القرآن يا نبينا فتلقاه وتأخذه من عند حكيم عليم ، أي حكيم في أمره ونهيه عليم بالأمور جليلها وحقيرها ، فخبره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (٢) . وتتجلى حكمته وعلمه في هذا القرآن في منهجه ، وتكاليفه ، وتوجيهاته ، وطريقته ، وفي تنزيله وفي إبانته وفي توالي أجزائه ، وتناسق موضوعاته .

من هداية الآيات :

- ١- إظهار التحدي والإعجاز بهذا القرآن العظيم .
- ٢- القرآن الكريم كتاب الله هادي المؤمنين إلى طريق الحق .
- ٣- المؤمنون طائعون لله متبعون لأوامره .
- ٤- الكفر بالبعث من أبرز صفات الكافرين وهو سبب هلاكهم .
- ٥- القرآن الكريم أنزل من عند الله تعالى الحكيم العالم بما يُصلح أحوال العباد .

القيم المستفادة :

- التصديق .
- اليقين .
- الإيمان باليوم الآخر .

١- سورة الأنعام (١١٠) .

٢- سورة الأنعام (١١٥) .



س ١ : أكمل العبارات التالية بما يناسبها :

- ١- كل النظم و و التي
يتضمنها القرآن الكريم إنما تقوم قبل كل شيء على
٢ - تتجلى حكمة الله تعالى في هذا القرآن الكريم في منهجه و
و و وفي تنزيله وفي توالي أجزائه
وتناسق موضوعاته .

س ٢ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير
الصحيحة فيما يأتي :

- ١ - الإيمان بالآخره لا يكبح الشهوات والنزوات . ()
٢ - العَمَه هو الحيرة والتردد . ()

س ٣ : علل ما يأتي :

- ورود بعض الأحرف المقطعة في فواتح السور :

.....
.....
.....
.....

س ٤ : خَصَّ الله تعالى المؤمنين بالهدى دون غيرهم :

.....

.....

.....

.....

س ٥ : أجب عن الآتي :

١ - قارن بين أبرز ما يميز المؤمن ، وأبرز ما يميز الكافر :

.....

.....

.....

.....

.....

٢ - اكتب أسماء الله الحسنى الواردة في الآيات مع توضيح معناها :

.....

.....

.....

.....

.....

التمهيد :

قصة موسى - ﷺ - وفرعون أعظم القصص وأكثرها اعتباراً لأهل الإيمان ولأهل الكفر ، وهو أكثر الأنبياء ذُكر اسمه في القرآن - عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام - وقد تكرر اسمه في القرآن ستاً وثلاثين ومئة مرة ، ولعل من حكم تكرار اسمه في القرآن :

أولاً : أن الله تعالى فصل في حياة موسى - ﷺ - ما لم يفصل في حياة الأنبياء غيره ، فقد ذكر مراحل حياته من الطفولة ، وما تعرض له من الفتون ، وأمر أمه بإرضاعه ووضعها في التابوت وإلقائه في البحر ، ثم ذكر رضاعها له بعد الوصول لبيت فرعون ، ثم ذكر مراحل من شبابه ومنها : قصته مع الرجلين وذهابه لمدين ومكثه فيها وبعثته بعد ذلك ، وفصل في دعوته للكفار كفراً مطبقاً وهم الأقباط ودعوته للمتدينين المنحرفين وهم بنو إسرائيل ، وذكر هلاك فرعون وقومه وقصته مع السحرة ، ثم معاناته مع قومه بعد عبورهم البحر وبعد عبادتهم العجل وبعد تحريضهم على الذهاب للأرض المقدسة إلى غير ذلك .

ثانياً : وجود التناسب الكبير بين شريعة موسى - ﷺ - وشريعة نبينا محمد - ﷺ - ، وبين كتابيهما ولهذا يكثر في القرآن ذكر موسى - ﷺ - وكتابه وبعده ذكر القرآن العظيم .

النص

قال تعالى :

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَّىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَلَاثِ رَّجَعٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ أَيْنُونَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
آنَسْتُ	رآه وأبصره ونظر إليه .
بِشِهَابٍ	نارٍ ساطعة .
قَبَسٍ	الشُّعْلَة من النار . واقتباسها الأخذ منها .
تَصْطَلُونَ	تستدفئون .
وَلَمْ يَعْقِبْ	لم يرجع .
الْعَزِيزُ	الذي عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ وغلبه .

الشرح الإجمالي للآيات :

موسى - ﷺ - :

شرعت الآيات بذكر نبي الله موسى - ﷺ - لما لاقى من تعنت بني إسرائيل ، و الآية تشير إلى الوقت قبل تبليغه بالرسالة ، وقد كان حين نُبئ في مدين عند شعيب الرجل الصالح وقد كان فاراً من سطوة فرعون وتجبره ، وقد استأجره شعيب عنده ثم خيره بين أن يتم ثمان سنين أو عشرًا ، فلما قضى أوفى الأجلين أتمهما و أكملهما انطلق قافلاً إلى دياره مصر مع أهله ، فلما سار بأهله ومعه ولدان^(١) منهم وغنم قد استفادها مدة مقامه ؛ قالوا واتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة ، وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى السلوك في الدرب المألوف ، وجعل يوري زناه فلا يوري شيئاً واشتد الظلام والبرد ، فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد ناراً تأجج في جانب الطور وهو الجبل الغربي منه عن يمينه ، فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً ، فقال لهم لعلني أستعلم من عندها عن الطريق أو أتيكم بنار منها تستدفئون فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق في ليلة باردة ومظلمة ، وقد آتاهم منها بخبر وأي خبر ووجد عندها هدى وأي هدى واقتبس منها نوراً وأي نور .

يخاطب الله تعالى رسوله محمداً - ﷺ - فيأمره بأن يذكر قصة موسى - ﷺ - حين قال لأهله قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَآئِكُمْ بِشَهَابٍ مِّنَ السَّمَاءِ فَاسْتَرْجِعُوا إِلَىٰ أَرْوَاحِكُمْ وَلَئِن لَّمْ تَعْلَمُوا مَوْضِعَهَا فَلَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) فقد أبصر ناراً على بُعد ، فشر لها بالطمأنينة والأنس وتوقع أن يجد عندها خبر الطريق ، أو أن يقتبس منها ما يستدفع به أهله في قر الليل في الصحراء ، فأخبر أهله أن امكثوا ﴿ سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ السين تدل على بُعد مسافة النار ، ومضى موسى - ﷺ - إلى النار التي آنسها ، ينشد خبراً ، فإذا هو يتلقى النداء الأسمى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨) يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ .

وهنا تتمثل مسؤولية الرجل وقيامته اتجاه أهله ، فالشرع يحتم عليه توفير الأمن والاطمئنان لهم ، وأن لا يعرضهم للخوف أو الظلم فيحافظ عليهم بكل ما لديه من قوة .

١- على قول عند بعض المفسرين .

البقعة المباركة:

لما قصد موسى -عليه السلام- إلى تلك النار التي رآها فانتهى إليها وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج ، وكل ما لتلك النار في اضطرام وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد ، فوقف متعجباً وكانت تلك الشجرة في أسفل الجبل الغربي منه عن يمينه كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤) (١) وكان موسى في وادٍ اسمه طوى فكان موسى -عليه السلام- مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناده ربه بالواد المقدس طوى فأمر أولاً بخلع نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة ولا سيما في تلك الليلة المباركة ؛ ثم خاطبه الله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ . . بهذا البناء للمجهول - وهو معلوم - ولكنه التوقير والإجلال والتعظيم للمنادي العظيم ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾

فمن ذا كان في النار؟

ومن ذا كان حولها؟

إنها على الأرجح لم تكن ناراً من هذه النار التي نوقدها إنما كانت ناراً مصدرها الملاء الأعلى ناراً أوقدتها الأرواح الطاهرة من ملائكة الله للهداية الكبرى وتراءت كالنار وهذه الأرواح الطاهرة فيها ومن ثم كان النداء : ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ إيداناً بفيض من البركة الإلهية على من في النار من الملائكة ومن حولها ، وفيمن حولها موسى -عليه السلام- ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨) ﴿يُمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فأعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره وغلبه ، الحكيم في أقواله وأفعاله ، فنزه الله ذاته وأعلن ربوبيته للعالمين ، وكشف لعبده أن الذي يناديه هو الله العزيز الحكيم ، ووجد موسى -عليه السلام- الخبر عند النار التي أنسها ولكنه كان الخبر الهائل العظيم ، ووجد القبس الدافئ ولكنه كان القبس الذي يهدي إلى الصراط المستقيم .

وكان النداء للاصطفاء ووراء الاصطفاء التكليف بحمل الرسالة إلى أكبر الطغاة في الأرض في ذلك الحين ، ومن ثم جعل ربه يעדّه ويجهّزه ويقوّيه .

معجزة موسى - ﷺ - :

ثم أمر الله - ﷻ - نبيه موسى - ﷺ - أن يلقي عصاه ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها موسى - ﷺ - كما أمره ربّه فصارت حية عظيمة ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا نُتْزِعًا جَانًّا﴾ صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجانُّ وهي الحية البيضاء الضخمة ، وإنما شبهها بالجان في خفة حركتها ، وكان حال موسى - ﷺ - كما أبان الله - ﷻ - أن ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا﴾ من الخوف ولم يعقب أي لم يرجع ثم ناداه ربّه بقوله : ﴿يُمُوسَى لَا تَخَفْ﴾ من الحية وضررها ، ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ ، أي لا تخف حيث أنت مكلف بالرسالة وأنت في عناية ورعاية ربك .

والخوف الطبيعي كخوف الإنسان من سبع ونحوه أو ما يضره فهذا لا يؤاخذ عليه ، أما أن يخاف مما يتوهم أو مما يظن الخوف منه على وجه ضعيف فهذا جبن وخور .

ثم أعلمه الله تعالى أن الخوف يقع غالباً من ظلم نفسه بالمعاصي إلا من أحسن التوبة بعد السيئات وحلّى نفسه بالإيمان والعمل الصالح ولهذا قال الله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فالله - ﷻ - يتجاوز عن من تاب ويستتر عليه ويرحمه ، وفي هذه الآية ترغيب في التوبة والعمل الصالح .

وبعد أن اطمأن موسى - ﷺ - وارتاحت نفسه أمره الله - ﷻ - أن يدخل يده في جيبه ونزعها منه فإذا هي بيضاء من غير سوء من برص ونحوه ثم وعده ربّه أن يؤيده بتسع آيات ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ، وهذه الآيات المعجزات ذكرها الله - ﷻ - في سورة الأعراف وهي سنوات الجذب ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد والقمل والضفادع والدم ، وآيتا العصا واليد كما في هذه الآيات ، وقوله ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أي أنت مرسل إليهم بدعوتهم إلى الله تعالى .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وذلك لأنهم لم يؤمنوا ، والفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى .

عاقبة الجحود:

﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤)

هذه الآيات الكثيرة الكاشفة عن الحق ، حتى ليبصره كل من له عينان ، ويصف هذه الآيات نفسها بأنها مبصرة ، فهي تبصر الناس وتقودهم إلى الهدى ، ومع هذا فقد قالوا عنها : إنها سحر مبین ! قالوا ذلك لا عن اقتناع به ، ولا عن شبهة فيه فقد استيقنت نفوسهم أنها الحق الذي لا شبهة فيه : ﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ . إنما قالوه ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي جحوداً ومكابرة ، لأنهم لا يريدون الإيمان به ، ولا يطلبون البرهان ، استعلاءً على الحق وظلماً له ولأنفسهم بهذا الاستعلاء الذميم .

وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرآن ، ويستيقنون أنه الحق ، ولكنهم يجحدونه ، ويجحدون دعوة النبي - ﷺ - له إلى الله الواحد ، ذلك أنهم كانوا يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم في الجاهلية ، لما وراءها من أوضاع تسندهم ، ومغانم تتوافد عليهم وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة ، التي يحسون خطر الدعوة الإسلامية عليها ، فلا يجحدها الجاحدون لأنهم لا يعرفونها ، بل هم يعرفونها ويجحدونها وقد استيقنتها نفوسهم ، لأنهم يحسون الخطر فيها على وجودهم ، أو الخطر على أوضاعهم ، أو الخطر على مصالحهم ومغانمهم . فيقفون في وجهها مكابرين ، وهي واضحة مبينة .

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

وعاقبة فرعون وقومه معروفة ، كشف عنها القرآن في مواضع عدة إنما يشير إليها هنا هذه الإشارة ، لعلها توقظ الغافلين من الجاحدين بالحق المكابرين فيه ، وتذكرهم بعاقبة فرعون وقومه قبل أن يأخذهم ما أخذ المفسدين .

وهنا موعظة عظيمة فلا يجوز لأحد كائناً من كان أن يظلم عباد الله ، أو يؤذيهم أو يضرهم ،

أو يتجنى عليهم ، أو يعتدي على مصالحهم ، أو يمنهم حقوقهم أو يبخسهم أشياءهم أو يقصر عليهم فيما يجب عليه تجاههم ، فالخلق خلق الله وكلنا عبيد الله يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) فلماذا كثرت المظالم بين الناس وامتألت المحاكم بالقضايا والخصومات ، وبغى الناس بعضهم على بعض فالراعي يظلم الرعية ويهدر حقوقهم والمسؤول يظلم السائلين ويبخسهم أشياءهم ، والمدير يظلم الموظفين ولا يعطيهم مستحقاتهم ، والأب يظلم أبناءه ولا يعدل بينهم والزوج يظلم زوجته ويهدر حقوقها والزوجة تظلم زوجها ولا توفيه حقه ، يقول الله - سُبْحَانَهُ - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ^(١) ويقول : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ^(٢) .

الظلم لا يدوم ولا يطول ، وسرعان ما ينتهي ويزول ، وسيعلم الظالمون عاقبة الغرور فالزمان عليهم سيدور يقول الله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ^(٣) ويقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ^(٤)

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً... فالظلم ترجع عقابه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه... يدعو عليك ، وعينُ الله لم تنم

يقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن : « واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » ^(٥) ويقول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول لها الرب : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» ^(٦) .

يقول ابن القيم رحمه الله : «أصل كل خير هو العلم والعدل ، وأصل كل شر هو الظلم والجهل ، والظالم من أحرى الناس بلعنة الله تعالى وناره وغضبه ، يقول الله - سُبْحَانَهُ - :

١- سورة يونس (٢٣) .

٢- سورة الفتح (١٠) .

٣- سورة إبراهيم (٤٢) .

٤- رواه البخاري : كتاب التفسير ٤٦٨٦ ، ومسلم : كتاب الظلم ٢٥٨٣ .

٥- رواه البخاري : كتاب المظالم ٢٤٤٨ ، ومسلم كتاب الإيمان ١٩ .

٦- رواه أحمد عن أبي هريرة ٩٤٥٠ .

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١) والظالم لا يحبه الله ، ولا يهديه ، ولا يغفر له ، إلا إذا شاء ربنا تبارك وتعالى ، وما أكثر ما تجدد في القرآن الكريم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾^(٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾^(٦) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

من هداية الآيات :

- ١- قيومية الرجل على المرأة .
- ٢- تكليم الله تعالى لموسى - عليه السلام - فيه إثبات صفة الكلام لله تعالى .
- ٣- الخوف الفطري في المرسلين لا يقدر في رسالتهم بل هو دال على بشريتهم .
- ٤- العصا واليد من معجزات موسى - عليه السلام - .
- ٥- الكبر والعلو صفة مذمومة في البشر .
- ٦- الجحود والظلم عاقبتهم وخيمة .

القيم المستفادة :

- التصديق .
- التوحيد .
- نبذ الجحود .

١- سورة غافر (٥٢) .
 ٢- سورة الجمعة (٥) .
 ٣- سورة آل عمران (١٤٠) .
 ٤- سورة إبراهيم (٢٧) .
 ٥- سورة نوح (٢٤) .
 ٦- سورة النساء (١٦٨-١٦٩) .



التقويم

س ١ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- المراد بقوله ﴿ءَأَنْسَتْ﴾ أي سعدت . ()
- ٢- الخوف صفة مذمومة لا تليق بالبشر . ()
- ٣- الآيات تشير إلى الوقت قبل تبليغ موسى - ﷺ - بالرسالة . ()
- ٤- المراد بالجانب الغربي وادي طوى . ()

س ٢ : علل ما يأتي :

١- موسى - ﷺ - أكثر الرسل وروداً في القرآن :

.....

.....

.....

٢- جاء قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ مبنياً للمجهول :

.....

.....

.....

س ٣ : استخرج من الآيات ما يدل على الحقائق التالية :

١- تنزيه الله تعالى لذاته :

.....

.....

.....

٢- تكليف موسى -عليه السلام- بالرسالة :

.....

.....

.....

س ٤ : اشرح معاني المفردات التالية :

١- **إِسْهَابٍ** :

.....

٢- **تَصَطَّلُون** :

.....

٣- **وَلَمْ يُعَقِّبْ** :

.....

التمهيد :

العلم هبة من الله فقد فضل الله - ﷻ - العلم على سائر الأمور ، وهذا دليل على شرف العلم ، وتقدّم حملته وأهله دون غيرهم ، وإن نعمة العلم من أجلّ النعم وأجزل القسّم ، وأنّ من أوتيّه فقد أوتي فضلاً كثيراً ، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١) لذا فإن من اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره ، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه ، وأن ينفقه فيما يرضي الله الذي أنعم به وأعطاه ؛ فلا يكون العلم مبعداً لصاحبه عن الله ، ولا منسياً له إياه وهو بعض مننه وعطاياه ، والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علم فاسد ، زائغ عن مصدره وعن هدفه لا يثمر سعادة لصاحبه ولا للناس ، إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار ، لأنه انقطع عن مصدره ، وانحرف عن وجهته ، وضل طريقه إلى الله ، ولما أغفل العلم وقصد الله بجهل حصل الضلال والفرقة ، وحالنا اليوم هو خير شاهد وإنّا لله وإنا إليه راجعون . بل إن رفع الجهل عن الأمة كان من أول ما نزل به الوحي المنير ، فإن أول آية نزلت على نبينا محمد - ﷺ - قول الله جلّ وعلا : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٢)

وهذا العلم لا يحمله إلا العدول من هذه الأمة ، فلا يتكلم فيه إلا أهله ، لذلك كانت القاعدة في هذا الأمر قول الإمام ابن سيرين رحمه الله تعالى : «إن هذا الأمر دين فليُنظر أحدكم عمّن يأخذ دينه» ومن هنا كان الواجب على من يريد الخير والإصلاح لهذه الأمة أن يحمل على عاتقه التعريف بأهل العلم وحملته ، ومعرفة الإجلال لهم ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء ، وقرّة أعين الأولياء ، وأمناء الله في خلقه ، هم سراج العباد ، ومنار البلاد ، وأئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ، وأهل الرحمة والرضا ، بهم يُقتدى ويُهتدى ، رفعهم الله بالعلم ، وزينهم بالحلم .

١- سورة الزمر (٩) .

٢- سورة العلق (١) .

ولله درّ من قال :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
ففر بعلم تعش حياً به أبداً
على الهدى لمن استهدى أدلاء
والجاهلون لأهل العلم أعداء
الناس موتى وأهل العلم أحياء

النص

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَتَّيَّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ
الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ
النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَّيَّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ	أن فهمنا من أصوات الطير .
الْفَضْلُ الْمُبِينُ	الظاهر الواضح الذي لا يخفى على أحد .
وَحُشِرَ	جُمع .
يُوزَعُونَ	يحبس أولهم ليلحق آخرهم فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد .
لَا يَحْطِمَنَّكُمْ	لا يكسرنكم بوطئهم عليكم وهم لا يعلمون بكم .
رَبِّ أَوْزِعْنِي	ألهمني وأرشدني .

الشرح الإجمالي للآيات :

سليمان - عليه السلام - :

قصة سليمان - عليه السلام - في هذه السورة مبسطة بتوسّع أكثر منها في آية أخرى ؛ وإن كانت تختص بمشهد واحد من مشاهد حياته ؛ مشهد قصته مع الهدهد وملكة سبأ ؛ يمهّد لها السياق بما يعلنه سليمان - عليه السلام - على الناس من تعليم الله له منطق الطير وإعطائه من كل شيء ؛ وشكره الله على فضله المبين ؛ ثم مشهد موكبه من الجن والإنس والطير ، وتحذير نملة لقومها من هذا الموكب ، وإدراك سليمان - عليه السلام - لمقالة النملة وشكره لربه على فضله ، وإدراكه أن النعمة ابتلاء ، وطلبه من ربه أن يجمعه على الشكر والنجاح في هذا الابتلاء .

ومناسبة ورود هذا القصص إجمالاً في هذه السورة ما سبق بيانه من افتتاح السورة بحديث عن القرآن ، وتقرير أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ؛ وقصص موسى وداود وسليمان - عليهم السلام - من أهم القصص في تاريخ بني إسرائيل .

أما مناسبة هذه القصة ومقدماتها لموضوع هذه السورة فتبدو في عدة مواضع منها :

- التركيز فيها على العلم .

- الإشارة الأولى إلى قصة داود وسليمان - عليهما السلام - هي ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ .

- إعلان سليمان - عليه السلام - لنعمة الله عليه يبدأ بالإشارة إلى تعليمه منطق الطير : ﴿ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ .

نعم الله على سليمان - عليه السلام - :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

هذه إشارة البدء بالقصة حيث ابتدأت بخبر تقريره عن أبرز النعم التي أنعم الله بها على داود وسليمان -عليهما السلام- وهي نعمة العلم ؛ ففي هذه السورة تفصيل ما علّمه الله لسليمان -عليه السلام- من منطق الطير ، أما ما ذكر في سور أخرى فكان تعليمه القضاء ، وتوجيه الرياح المسخرة له بأمر الله .

يخبر تعالى نبيه -ﷺ- عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان -عليهما السلام- ، من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة ، والصفات الجميلة ، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة ، والملك والتمكين التام في الدنيا ، والنبوة والرسالة في الدين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام ، وقبل أن تنتهي الآية يجيء شكر داود وسليمان على هذه النعمة ، وإعلان قيمتها وقدرها العظيم ، فقالا شكراً للمنعّم المتفضل عليهم -ﷺ- : الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من النبوة ، والعلم ، وتسخير الإنس والجن والشياطين ، على كثير من عباده المؤمنين ، فتبرز قيمة العلم ، وعظمة المنّة به من الله على العباد ، وتفضيل من يؤتاه على كثير من عباد الله المؤمنين .

فائدة :

قال ابنُ عَبَّاسٍ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ كلمة كل شاكر ، والحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره الله لاستحقاق الله تعالى للشكر ، فالشكر رأس الحمد ، قال ابن جرير رحمه الله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ثناء أثنى به الله على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا الحمد لله . عن أبي مالك الأشعري - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- «الطهور شرط الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها»^(١) وقال عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول

١- رواه مسلم في كتاب الإيمان .

الله - ﷺ - قال : «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب و من لا يحب ، و لا يعطي الإيمان إلا من أحب ، فمن ضن بالمال أن ينفقه ، و خاف العدو أن يجاهده ، و هاب الليل أن يكابده ، فليكثر من قول : سبحان الله ، و الحمد لله ، و لا إله إلا الله ، و الله أكبر»^(١) و أفضل الحمادين هم عباد الله الصالحون الذين عرفوا الله حق المعرفة فآثروا عليه بما هو أهله ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إن أفضل عباد الله يوم القيامة الحمادون»^(٢) .

ميراث النبوة :

قال الله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ داود - ﷺ - أوتي الملك مع النبوة والعلم منة وفضلا من الله تعالى ، فورث سليمان - ﷺ - أباه داود - ﷺ - وليس المراد هنا وراثته المال ، إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان - ﷺ - وحده من بين سائر أولاد داود ، فإنه قد كان لداود مئة امرأة ، ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة والعلم ، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله - ﷺ - في قوله : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة» وقد خص الله تعالى نبيه سليمان - ﷺ - بما كان لداود - ﷺ - من الحكمة والنبوة ، وزاده من فضله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ؛ قال ابن عطية : داود من بني إسرائيل وكان ملكاً وورث سليمان - ﷺ - ملكه ومنزلته من النبوة ، بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمى ميراثاً تجوزاً ، قال مقاتل : كان سليمان - ﷺ - أعظم ملكاً من داود - ﷺ - وأقضى منه ، وكان داود - ﷺ - أشد تعبداً من سليمان - ﷺ - ففي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو يقول أن رسول الله - ﷺ - قال له : «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ - ﷺ - ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»^(٣) ولم يبلغ أحد من الأنبياء ما بلغ ملك سليمان - ﷺ - ، فإن الله سبحانه وتعالى سخر له الإنس والجن والطير والوحش ، وآتاه ما لم يؤت أحداً من العالمين ، وورث أباه في الملك والنبوة والعلم ، وقام بعده بشريعته ، وكل نبي جاء

١- رواه أحمد ٣٦٦٣ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٧١٤ .

٢- رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في الصحيحة ١٥٨٤ .

٣- رواه البخاري ٣٨٠ ومسلم ٨١٤ .

بعد موسى -عليه السلام- ممن بُعث أو لم يبعث فإنما كان بشريعة موسى -عليه السلام- ، إلى أن بُعث المسيح -عليه السلام- فنسخها .

شكر سليمان -عليه السلام- لله تعالى :

﴿وَقَالَ يَتَآيَهَا النَّاسُ﴾

قال سليمان -عليه السلام- هذه المقالة مخاطباً للناس ، تحدثاً بما أنعم الله تعالى عليه ، وإظهاراً لفضله ، لا مباهاةً ولا افتخاراً على الناس .

فيقول **﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾** أي تفضل الله عليّ بهذا العلم ويعقب عليها **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾** فضل الله الكاشف عن مصدره ، الدال على صاحبه ، فما يملك تعليم منطق الطير لبشر إلا الله ، وكذلك لا يؤتي أحداً من كل شيء - بهذا التعميم - إلا الله . وللطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم هي لغاتها ومنطقها فيما بينها ، والله - **سُبْحَانَهُ** - خالق هذه العوالم يقول : **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾** ^(١) ولا تكون أمماً حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها ، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها ، وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والظن لا عن الجزم واليقين ، فأما ما وهبه الله لسليمان -عليه السلام- فكان شأناً خاصاً به على طريق المعجزة التي تخالف مألوف البشر ، وإنه لأيسر شيء وأهون شيء على الله أن يعلم عبداً من عباده لغات الطير والحيوان والحشرات ، فهي لم تكن عن طريق المحاولة والاجتهاد منه لتفهم وسائل الطير وغيره في التفاهم ، ومن زعم أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود -عليهما السلام- ، فهو قولٌ بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان -عليه السلام- بذلك فائدة ، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ، وقدم منطق الطير لأنها نعمة خاصة به ، لا يشاركه فيها غيره .

١- الأنعام : (٣٨) .

﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ثم أخبر سليمان -عليه السلام- بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام ، والتمكين العظيم ، والقهر والعلم والنبوة والحكمة والمال ، وتسخير الجن والإنس والطير والرياح والوحش والدواب ، وكل ما بين السماء والأرض ، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ولهذا دعا ربه فقال : ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾^(١) ، فسخر الإنس والجن والطير لتكون تحت إمرته ، وطوع أمره ، كجنوده من الإنس سواء بسواء ، والطائفة التي سخرها له من الطير وهبها إدراكًا خاصًا أعلى من إدراك نظائرها في أمة الطير ؛ وجاء سليمان -عليه السلام- بنون العظمة في قوله ﴿وَأُوتِينَا﴾ والمراد نفسه ، بيانا لحاله من كونه مطاعا لا يخالف لا تكبرا وتعظيما لنفسه ، بل ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي أعطانا الله وفضلنا واختصنا به ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ الواضح الجلي ، فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى .

مملكة سليمان -عليه السلام- :

﴿وَحِشْرَ لُسَيْمَنَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

جُمع لسليمان -عليه السلام- جنوده من هذه الأجناس من الجن والإنس والطير وهو موكب عظيم ، وحشد كبير ، يجمع أوله على آخره ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ حتى لا يتفرقوا وتشيع فيهم الفوضى ؛فهو حشد عسكري منظم يطلق عليه اصطلاح الجنود ، إشارة إلى الحشد والتنظيم .

يخبر الله تعالى عن عبده ونبيه سليمان بن داود -عليهما الصلاة والسلام- ، أنه ركب يوما في جيش جميعه من الجن والإنس والطير ، فالجن والإنس يسيرون معه والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر ، وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة أي نقباء يردون أوله على آخره ، فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه ، ينتظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم ، كل هذه الجنود مؤتمرة بأمره لا تقدر على عصيانه ولا تتمرد عنه ، قال الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَنْوَا عَلَى وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها ؛ وهذه النملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح

في الوادي منبهة لرفقتها وبني جنسها ، فجعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها لذلك الخطاب ؛ ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم ، تتنوع فيها الوظائف ، وتؤدي كلها بنظام عجيب يعجز البشر غالباً عن اتباع مثله على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عالٍ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قالتها بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل ، وباللغة المتعارفة بينها فنصحت هذه النملة وأسمنت فأمرت وحذرت واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور وهذه إشارة إلى الدين والعدل والرفقة فقولها : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ التفاتة مؤمن أي من عدل سليمان - ﷺ - وفضله وفضل جنوده ، أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها عن قصد بلا حق ؛ وجملة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في محل نصب على الحال من فاعل ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ ، أي : لا يشعرون بتحطمكم ولا يعلمون بمكانكم ، وإسماع النملة للنمل إما أن يكون بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماً خارقة للعادة ، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب ، وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحدز والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن ، والمقصود أن سليمان - ﷺ - سمعها وفهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأي السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره ، وإعجاباً منه بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها ، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ وتبسم الضحك إنما هو عن سرور ، ولا يسرني بأمر دنيا ، وإنما سرّ بما كان من أمر الآخرة والدين ، وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل ، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم ، كما كان الرسول - ﷺ - جُلَّ ضحكته التبسم ، فإن القهقهة قد تدل على خفة العقل وسوء الأدب والرسل منزّهون عن ذلك .

وسرعان ما هزته هذه المشاهدة ، وردت قلبه إلى ربه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه ، واتجه إلى ربه في إنابة يتوسل إليه بعد أن مست النعمة قلبه - ﷺ - صوّر لنا نوع تأثره ، وقوة توجهه ، وارتعاشه وجدانه ،

وهو يستشعر فضل الله الجزيل ، ويقول ﴿ رَبِّ ﴾ . . بهذا النداء القريب المباشر المتصل .
﴿ أَوْزَعَنِي ﴾ ألهمني ووفقني ، فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما
خصّه به من الفضل على غيره ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ من تعليمي منطق الطير
والحيوان ﴿ وَعَلَى وَدَعَتِ ﴾ بالإسلام لك ، والإيمان بك فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد
﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ أي : ووفقني أن أعمل صالحاً ترضاه لكونه موافقاً لأمر مخلصاً
فيه سالماً من المفسدات والمنقصات ، فالعمل الصالح هو كذلك فضل من الله يوفق إليه من يشكر
نعمته ، وسليمان - عليه السلام - الشاكر الذي يستعين ربه ليجمعه ويوفقه على شكر نعمته ، ويستعين
ربه كذلك ليوفقه إلى عمل صالح يرضاه ؛ وهو يشعر أن العمل الصالح توفيق ونعمة أخرى من
الله ، ثم دعا أن يجعله الله سبحانه في الآخرة داخلاً في زمرة الصالحين ، فإن ذلك هو الغاية التي
يتعلق الطلب بها ، ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ ﴾ التي منها الجنة وأن يحشره إذا توفاه ﴿ فِي ﴾ جملة
﴿ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ أدخلني في جملتهم ، وأثبت اسمي في أسمائهم ، واحشرنني في زمرتهم
إلى دار الصالحين ، وهي الجنة ، فإن الرحمة يوم القيامة للصالحين على اختلاف درجاتهم
ومنازلهم ؛ وقد استجاب الله تعالى له والمراد بوالديه داود - عليه السلام - وأمه وكانت من العابدات
الصالحات ، وهذه الآية منادية بأعلى صوت ، وأوضح بيان بأن دخول الجنة التي هي دار المؤمنين
يكون بالتفضل من الله ، لا بالعمل منهم كما قال رسولنا الصادق المصدوق - عليه السلام - : « فَسَدِّدُوا
وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ
يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ » ^(١)

فهذا نموذج ذكره الله من حال سليمان - عليه السلام - عند سماعه خطاب النملة ونداءها .

من هداية الآيات :

- ١- العلم هبة ونعمة وفضل يهبها الله لمن يشاء من عباده .
- ٢- مشروعية حمد الله تعالى على النعم صغيرها وكبيرها .
- ٣- ورث سليمان -عليه السلام- من أبيه داود -عليه السلام- الحكمة والعلم والنبوة .
- ٤- لا يورث الأنبياء أولادهم مآلاً .
- ٥- معجزة سليمان -عليه السلام- فهم أصوات الطيور .
- ٦- النمل أمم تفهم وتدرك وتحذر الوقوع في الخطر .
- ٧- التبسم من السمات الحسن التي كان عليه الأنبياء والصالحون .
- ٨- الدعاء أجل العبادات وهو سلاح المؤمنين .
- ٩- دخول الجنة بفضل من الله ورحمة فلا يغتر أحد بعمله .
- ١٠- من أعظم مظاهر البر بالوالدين الدعاء لهما .

القيم المستفادة :

- حب العلم .
- الطاعة .
- الدعاء .



التقويم

س ١ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- فضّل الله بعض الأنبياء على بعض . ()
- ٢- من أبرز النعم التي أنعم الله بها على داود وسليمان -عليهما السلام- نعمة الملك . ()
- ٣- ورث سليمان -عليه السلام- عن أبيه داود ما لا كثيرًا . ()
- ٤- توصل علماء الطيور والحيوانات إلى لغاتها عن طريق الحدس والظن . ()
- ٥- دخول الجنة يكون بالعمل الصالح . ()

س ٢ : أجب عن الآتي :

١- بم فضل العلماء عن غيرهم ؟

.....
.....

٢- وضح مناسبة ورود هذا القصص إجمالاً في هذه السورة .

.....
.....

٣- ما معنى ﴿الْحَمْدُ﴾ ؟

.....
.....

٤- ما واجبك تجاه نعم الله تعالى ؟

.....
.....

٥- لماذا سمي ميراث النبوة ميراثاً بالرغم من خلوه من المال؟

٦- ما الفرق بين إدراك العلماء للغات الحيوانات وبين ما وهبه الله لسليمان -عليه السلام-؟

٧- ما رأيك فيمن يقول أن الحيوانات كانت تتطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود -عليه السلام-؟

٨- كيف أسمعت النملة قريناتها من النمل؟

س ٣: أكمل العبارات التالية بما يناسبها:

١- ﴿وَقَالَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ قال سليمان -عليه السلام- هذه المقالة مخاطباً الناس وذلك لسبب

..... و..... و..... و.....

٢- أنعم الله تعالى على سليمان -عليه السلام- بنعم عديدة منها

..... و.....

٣- المراد بالجنود في قوله تعالى ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ﴾

..... واطلق عليه لفظ «الجنود»

٤- حكم شكر الله على النعم

س ٤ : علل ما يأتي :

١ - تبسم سليمان - ﷺ - من خطاب النملة :

.....

.....

.....

.....

٢ - جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء :

.....

.....

.....

.....

٣ - الأنبياء لا يقهقهون ولا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم :

.....

.....

.....

.....

التمهيد :

قال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨) (١) فالدواب والبهائم جماعات أحياء مثلكم خلقهم الله كما خلقكم ، ورزقهم كما رزقكم ، داخلة تحت علمه وتقديره وإحاطته بكل شيء ، وما من طائر يطير بجناحيه في الهواء ، وما من خلق حي في هذه الأرض كلها إلا وهو يتنظم في أمة ذات خصائص واحدة شأن أمة الناس ؛ وما ترك الله شيئاً من خلقه بدون تدبير يشملها ، وعلم يحصيه ، وفي النهاية تحشر الخلائق إلى ربها ، فيقضي في أمرها بما يشاء .

وهذه المخلوقات قد يكلفها الله بمهام جليلة ومثال ذلك : الطيور التي أرسلها الله على جيش أبرهة ، والغراب الذي بعثه ليعلم بني آدم دفن موتاهم ولم يبعث طائر آخر ، وقيل لأن الغراب هو أذكى الطيور وأمرها على الإطلاق ، وأيضاً ما قام به الهدد غيراً على دين الله تعالى .

النص

قال تعالى :

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠) ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ (٢١) ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (٢٢) ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤) ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٢٥) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٦) ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) ﴿أَذْهَبَ يَكْتَلِي هَذَا فَالَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨)

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
وَتَفَقَّدَ	التفقد أن تطلب ما غاب عنك وتعرّف أحواله .
الطَّيْرَ	اسم جنس لكل ما يطير .
الْفَآبِيتَ	غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي .
بِسُلْطَنِ مُبِينٍ	بحجة واضحة تنجيه .
فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ	أقام زماناً غير بعيد .
أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ	أي اطلعت على ما لم تطلع عليه .
وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ	سبأ قبيلة من قبائل اليمن وهو اسم لجدهم أو لمدينتهم .
بِنَبَأٍ يَقِينٍ	بخبر مؤكد .
يُخْرِجُ الْخَبْءَ	الخَبْءُ الشيء المخبوء المخفي .

الشرح الإجمالي للآيات :

سليمان - ﷺ - والهدهد :

يذكر الله تعالى ما كان من أمر سليمان - ﷺ - والهدهد ، ذلك أن الطيور كان على كل صنفٍ منها مقدّمون ، يقدّمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك ، فلما تطلّبهُ سليمان - ﷺ - وكان يجلس على سريره والكراسي توضع حوله يجلس عليها الإنس ، ثم الجن ثم الشياطين ، ثم تأتي الريح فترفعهم ثم تظلمهم الطير ، فبينما هو ذات يوم في مسير له إذ تفقد الهدهد ولم يجده في موضعه من محل خدمته ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ ، ودل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار ، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر هل هي موجودة في مواضعها ومراكزها التي عينها لها أم منها شيء مفقود؟

وفي هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته ، والمحافظة عليهم ، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان -عليه السلام- حاله ، ويرحم الله عمر الفاروق -رضي الله عنه- فإنه كان من سيرته أن قال : لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب لُيسأل عنها عُمرُ . فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان ، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان .

﴿فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ﴾ أي ما للهدهد لا أراه ، فهو من رؤية القلب الذي لا يعرف معناه . وهو كقولك : مالي أراك كئيباً ؟ أي مالك ؟ . والهدهد طير معروف وهددته صوته .
﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ و ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل ، أي ما له مفقود من هاهنا أو قد غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي ، هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟

فالشاهد أن سليمان -عليه السلام- تفقد الطير فلم يجده ، حينئذ تغيط عليه وتوعده وقال :

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ توعده بنوع من العذاب دون القتل ، فكان عذابه إياه أن ينتفه ثم يلقيه في الأرض فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الأرض ، اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل على كل تقدير فقد قال مجاهد : هو أن يتنف ريشه جميعاً ، وقيل : هو أن يحبسه مع أضداده ، وقيل : أن يمنعه من خدمته وقيل : إيداعه القفص وقيل : بأن يجعله للشمس بعد نتفه ، وفي هذا دليل على أن العقوبة على قدر الذنب لا على قدر الجسد .

﴿أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ أو لأقتلنه ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلا أن يأتيني بحجة واضحة على تخلفه تبين لسامعها صحتها وحقيقتها وتنجيه من هذه الورطة ، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب ، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته واللام في ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي﴾ للتوكيد .

عودة الهدهد وحجة غيابه :

قال الله تعالى : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي فغاب الهدهد غيبةً ليست بطويلة ثم جاء وهذا يدل

على هيبة جنوده منه وشدة ائتمارهم لأمره ، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمناً كثيراً .

قال الهدهد لسليمان - عليه السلام - ﴿ **أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته ، والمراد اطلعت على ما لم تطلع عليه وعرفت ما لم تعرفه فكان في هذا رد على من قال : إن الأنبياء تعلم الغيب ، يقول الله تعالى مخبراً عن قول الهدهد لسليمان - عليه السلام - مخبراً بعذره في مغيبه عنه ﴿ **وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ** ﴾ وأتيتك من مدينة سبأ في بلاد اليمن ﴿ **بِنَبَأٍ يَقِينٍ** ﴾ بخبر هام وأمر صادق وخطير ، فصار هذا الخبر للهدهد عذراً وحجة عند سليمان - عليه السلام - درأ به عنه ما كان أوعد به ، لأن سليمان - عليه السلام - كان لا يرى أن في الأرض أحداً له مملكة معه ، وكان مع ذلك رجلاً قد حُبب إليه الجهاد والغزو ، فلما ذلّه الهدهد على ملكٍ بموضع من الأرض هو لغيره ، وقومه كفرة يعبدون غير الله وله في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل والثواب العظيم ، وضم مملكة أخرى إلى ملكه . حقت للهدهد المَعذرة ، وصحّت له الحجة في مغيبه عن سليمان - عليه السلام - ، فقال الهدهد : ﴿ **إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ من عجائب ما رأيت أن امرأة تسمى بلقيس هي ملكة عليهم ، وهم يدينون بالطاعة لها ، وأُوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة ، ولها كرسي عظيم يعني سرير مملكتها كان مزخرفاً بأنواع الجواهر واللاكي والذهب والحليّ الباهر ، وعني بالعظيم في هذا الموضع العظيم في قدره ، وعَظَمَ خَطَرُهُ ، لا عَظَمَهُ في الكبر والسعة فقط ﴿ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ** ﴾ ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلال الشيطان لهم وصده إياهم ، وحبب إليهم عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله الذي لا شريك له ، ولما زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به ، لذا لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه ، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون . ثم قال الهدهد متعجباً ﴿ **أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ أيسجدون للشمس ولا يسجدون لله الخالق العظيم ، الذي يعلم الخفايا ويعلم كل

مخبوء في العالم العلوي والسفلي؟ قَالَ الْجُرْجَانِيُّ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ هو كلام معترض من الهدهد أو سليمان -عليه السلام- أو من كلام الله -سُبْحَانَهُ- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الله الذي لا تصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا هو ، لا معبود سواه تصلح له العبادة ، فأخلصوها له ، وأفردوه بالطاعة ، ولا تشركوا به شيئاً . ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فهو مالك العرش العظيم إذ كل عرش وإن عظم فدون عرشه ، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره . (قرأ ابن مُحَيِّصٍ ﴿الْعَظِيمِ﴾ رفعاً نعتاً لله . الباقون بالخفض نعتاً للعرش . وخصَّ العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه وقبضته) . وهنا موضع سجود للتلاوة .

البينة على صدق الهدهد:

لما قال الهدهد لنبي الله سليمان -عليه السلام- ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ لم يستفزّه الطمع ، ولا استجره حب الزيادة في الملك إلى أن يعرض له حتى قال : ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فغاضه حينئذٍ ما سمع من الهدهد ، وطلب الانتهاء إلى ما أخبر ، وتحصيل علم ما غاب عنه من ذلك ، ولم يتسرع سليمان -عليه السلام- في تصديقه أو تكذيبه ولا استخفه النبأ العظيم الذي جاءه به ؛ إنما يأخذ في تجربته للتأكد من صحته ، شأن النبي العادل والملك الحازم ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قالها سليمان -عليه السلام- للهدهد : ﴿سَنَنْظُرُ﴾ أصدقت فيما اعتذرت به من العذر واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا وفيما جئتنا به من الخبر؟ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال ابن الجوزي : وإنما شك في خبره لأنه أنكر أن يكون لغيره سلطان ، ثم كتب كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد ، وقوله : ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أبلغ من قوله أم كذبت ، لأن المعنى : من الذين اتصفوا بالكذب وصار خلقاً لهم . والنظر هو التأمل والتصفح ، وفيه إرشاد إلى البحث عن الأخبار ، والكشف عن الحقائق إذا تمكن من ذلك بوجه من الوجوه ، و عدم قبول خبر المخبرين تقليداً لهم ، واعتماداً عليهم ثم بيّن سليمان -عليه السلام- هذا النظر الذي وعد به فقال ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقَهُ إِلَيْهِمْ﴾ اذهب بهذا الكتاب وأوصله إلى ملكة سبأ وجندها

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أمره بالتَّوَلَّى حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك ، وكن قريباً مستتراً عنهم حتى ترى مراجعتهم ، وخص الهدهد بإرساله بالكتاب لأنه المخبر بالقصة ، ولكونه رأى منه من مخايل الفهم والعلم ، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ فانظر ماذا يردون من الجواب و انظر ما يتراجعون بينهم من الكلام ؛ قال المفسرون : حمل الهدهد الكتاب بمنقاره ، وطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها الجنود والعساكر ، فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه ، فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها فقالت ﴿قَالَتْ يَأْثَمُ الْمَلُؤُاِ إِنِّي أَفْقَى إِلَيْكَ كَرِيمٌ﴾ ووصفت هذا الكتاب بالكريم لكونه من عند عظيم ولاشتماله على كلام حسن ولأنه مختوم .

من هداية الآيات :

- ١- يجب على الإمام أن يتفقد أحوال رعيته ، ومباشرة ذلك بنفسه ، والسفر إلى ذلك وإن طال .
- ٢- بيان أن العقوبة تكون على قدر الذنب لا على قدر الجسد .
- ٣- بيان أن من حق الولي أن يعرف حجة غياب من افتقدهم وهم تحت رعايته وإمرته .
- ٤- جواز أن يقول الصغير للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه .
- ٥- بيان أن العرش أعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه وقبضته .
- ٦- بيان أهمية أن يصغي الأولياء والحكام لذوي الحكمة والرأي السديد .
- ٧- المرأة لا تكون خليفة ولا تنصب ولاية عامة ، ولا اختلاف بين العلماء في ذلك .
- ٨- المرأة لا يتأتى منها أن تبرز إلى المجلس ، ولا تخالط الرجال ، ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير لأنها إن كانت فتاة حرم النظر إليها وكلامها .
- ٩- بيان أن ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به .
- ١٠- الشيطان يزين للناس أعمالهم الفاسدة لئلا يسجدوا لله تعالى .
- ١١- يجب على الإمام أن يقبل عذر رعيته ، ويدراً العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم .
- ١٢- بيان مشروعية التأدب مع الملوك .

١٣- دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ، ودعائهم إلى الإسلام . وقد كتب النبي - ﷺ - إلى كسرى وقيصر إلى كل جبار .

القيم المستفادة :

- الصدق .
- الطاعة .
- العدل .



التقويم

س ١ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- بعث الله تعالى الغراب ليعلم بني آدم دفن موتاهم . ()
- ٢- تفقد سليمان -عليه السلام- الهدهد لأنه لم يكن في مركزه الذي وضع فيه . ()
- ٣- حجة الهدهد لم تكن مقبولة عند سليمان -عليه السلام- . ()
- ٤- خص سليمان -عليه السلام- الهدهد بالرسالة لسرعته وخفته . ()

س ٢ : وضح معنى المفردات التالية :

- ١- وَفَقَّدَ :
- ٢- سُلْطَانٍ مُبِينٍ :
- ٣- يُخْرِجُ الْخَبَاءَ :

س ٣ : علل ما يأتي :

- ١- تفقد سليمان -عليه السلام- للطير :

- ٢- تعجب الهدهد من قوم سباً :

٣- خص العرش لوصفه بالعظم :

.....

.....

س ٤ : أجب عن الآتي :

- ماعلة غياب الهدهد؟

.....

.....

.....

.....

.....

التمهيد :

من عظيم ما نستفيده من قصة بلقيس مع نبي الله سليمان - ﷺ - الشورى واستشارة من يصلح لها ، وهي من شأن العقلاء ، وقد كانت بلقيس ملكة عظيمة في قومها وتعرف من جندها شهامة وميلاً للحرب ، إلا أنها كانت عاقلة تعرف الحرب وويلاتها وكانت ذكية ذات فراسة ، فلجأت إلى الهدية التي بها تنكشف الأمور حسننها وسيئها ؛ فهذه القصة درس عظيم وعبر وآيات للراعي والرعية .

النص

قال تعالى :

﴿ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝٣١ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝٣٢ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝٣٣ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٣٤ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝٣٥ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
الْمَلُؤُا	أَشْرَافُ الْقَوْمِ .
أَلَّا تَعْلُوا	أَلَّا تَتَكَبَّرُوا .
أَفْتُونِي	أَشِيرُوا عَلَيَّ .
مَا كُنْتُ قَاطِعَةً	مَا كُنْتُ مُبْرِمَةً أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ .
وَأُولُوا بَأْسٍ	أَصْحَابُ شَجَاعَةٍ وَبِلَاءٍ فِي الْحَرْبِ .

الشرح الإجمالي للآيات :

كتاب سليمان -عليه السلام- :

لما قال الهدهد لنبي الله سليمان -عليه السلام- ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ فغاضه حينئذٍ ما سمع من الهدهد ، عند ذلك بعث معه سليمان -عليه السلام- كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، والإنابة والإذعان والخضوع والدخول في ملكه وسلطانه ، فحمل الهدهد الكتاب بمنقاره ، وطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها الجنود والعساكر ، فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه ، فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها ؛ وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن الكتاب ، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها ؛ فقالت بلقيس لهم ﴿يَتَأْتِيَ الْمَلُؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ﴾ بصيغة المجهول . مما يجعلنا نرجح أنها لم تعلم كيف ألقى إليها ولا من ألقاه ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ووصفت الكتاب بالكريم لكونه من عند عظيم في نفسها ، فعظمته إجلالاً

لسليمان -عليه السلام- ، وقيل : وصفته بذلك لاشتماله على كلام حسن ، وقيل : وصفته بذلك لكونه وصل إليها مختوماً بخاتم سليمان -عليه السلام- ، وكرامة الكتاب ختمه ، وقيل : وصفته بذلك ، لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله -عز وجل- وحسن الاستعطاف والاستلطاف على عادة الرسل في الدعوة إلى الله -عز وجل- فلم يتضمن سباً ولا لعناً ، ولا ما يُغيّر النفس ، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق ، ثم أعلنت عن محتوياته للملأ ، وكانت فحوى الكتاب في غاية البساطة والقوة ، فهو مبدوء بالبسملة وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب ، ونستخلص من هنا استحباب أن يبدأ الرجل الكتاب بنفسه ، ولو بدأ بالمكتوب إليه لجاز .

ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ولم تكن بلقيس تعبد الله ولكن صيت سليمان -عليه السلام- كان ذائعاً في هذه الرقعة ، ولغة الكتاب التي يحكيها القرآن فيها استعلاء وحزم وجزم . و كان المطلوب في الكتاب أمراً واحداً بينت مضمونه ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى ﴾ لا تستكبروا عن طاعتي بل اخضعوا تحت سلطاني وامثلوا لأوامري ﴿ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ، وانقادوا إلي وأقدموا علي سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة .

فكان كتابه -عليه السلام- في غاية الوجازة ، مع البيان التام فقد تضمن عدة أمور :

- نهيه عن العلو عليه .

- الانقياد لأمره والدخول تحت طاعته .

- مجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام .

وواضح من وصف بلقيس الملكة الأريبة للكتاب بالكريم أنها لا تريد المقاومة والخصومة ، ولكنها لا تقول هذا صراحةً إنما تمهد له بذلك الوصف ، ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة ، قالت : يا أيها الأشراف أشيروا عليّ وبينوا لي الصواب في هذا الأمر ، وأجيبوني بما يقتضيه الحزم ، وعبرت عن المشورة بالفتوى ، لكون هذه المشورة حلّ لما أشكل من الأمر عليها .

وهنا فائدة : أن المشاورة من الأمور القديمة الناجعة وخاصة في الحرب ، فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس ، طلبت من قومها المشورة ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم ، وحزمهم فيما يقيم أمرهم ، وإمضائهم على الطاعة لها ، بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها ، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عوناً لعدوهم عليهم ، وإن لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم ، وربما كان في استبدادها برأيها وهنٌ في طاعتها ، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عونٌ على ما تريده من قوة شوكتهم ، وشدة مدافعتهم .

﴿يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾

أخبروني بم نجيته ؟

وهل ندخل تحت طاعته وننقاد ؟

أم ماذا نفعل ؟

فشاورتهم في أمرها وما قد حل بها و تأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون ، ثم زادت في التأدب و استجلاب خواطرهم ليمحضوها النصح ، ويشيروا عليها بالصواب فقالت : ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تعني ما كنت مستبدةً لأبت أمراً إلا بأخذ رأيكم ومشورتكم وحضوركم .

فأجابوها فوراً على عادة رجال الحاشية وأبدوا استعدادهم للعمل ، ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ نحن أولوا قوة في العدد والعدة وأولوا بأسٍ شديدٍ عند الحرب و اللقاء و لنا من الشجاعة و النجدة ما نمنع به أنفسنا ، وبلدنا ، ومملكتنا . ثم فوضوا الأمر إليها لعلمهم بصحة رأيها ، وقوة عقلها ، وكانت أرجح منهم عقلاً ، فقالوا لها : إن رددت عليه قوله ولم تدخلي في طاعته فإننا لنا قوة وقدرَةٌ على القتال ، فكأنهم مالوا إلى القوة التي لو تمت لكان فيها دمارهم ،

ولكنهم أيضاً لم يستقروا على هذا الرأي بل قالوا : ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ فبذلوا لها السمع والطاعة لترى في هذا الأمر ما هو الأرشد لها ولهم ؛ ولذا قالوا : «فالرأي ما رأيت» . ﴿فَانْظُرِي﴾ نظراً فكرياً وتدبر ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فكان رأيها أتم وأسد من رأيهم ، وقد علمت بفراسستها أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع .

حكمة بلقيس وذكاءها وفطنتها :

تظهر هنا شخصية «المرأة» من وراء شخصية الملكة ؛ المرأة التي تكره الحروب والتدمير ، والتي تستخدم سلاح الحيلة والملاينة قبل أن تستخدم سلاح القوة والمخاشنة .

قالت لهم مقنعة لهم و مبينة سوء مغبة القتال وواثقة برأيها السديد : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إلي وإليكم الهلاك و الدمار دون غيرنا . ولهذا قالت إن الملوك إذا دخلوا بلدًا عنوةً أفسدوها و خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلةً ، فقصدوا إلى من فيها من الولاة و الجنود فأهانوهم غاية الهوان إما بالقتل أو بالأسر ، وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك ، وتستحكم لهم الوطأة وتتقرر لهم في قلوبهم المهابة . والمقصود من قولها هذا خوفٌ على قومها وحيطةٌ واستعظام ، وتحذير قومها من مسير سليمان -عليه السلام- إليهم و دخوله بلادهم ، ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمخادعة ، فقررت أن لا تطيع أمره بالانقياد إليه قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها ، حتى تكون على بصيرة من أمرها .

قدمت لهم بلقيس هذه المقدمة ، وصرحت لهم برأيها و صوابه ثم قالت قرارها : ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ إني أريد أن أجرب هذا الرجل بإرسال هدية مشتملة على نفائس الأموال يحملها رسلي إليه ، فإن كان ملكاً أرضيناه بذلك وكفيناه أمره ، وإن كان نبياً لم يرضه ذلك لأن غاية مطلبه و منتهى أربه هو الدعاء إلى الدين ، فلا ينجينا منه إلا إجابته ومتابعته والتدين بدينه و سلوك طريقته ، ولهذا قالت : ﴿فَنَازِرَةٌ يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ إني ناظرة فيما يرجع به رسلي المرسلون بالهدية من قبول أو رد ، فأعامله بما يقتضيه ذلك ، فأرادت أن تُصانع عن نفسها وأهل

مملكته بهدية تليق بملك مثله و تنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك ، فلعله يقبل ذلك منهم و يكف عنهم ، أو يضرب عليهم خراجاً يحملوه إليه في كل عام و يلتزمون فيه ، وبذلك يترك قتالهم ومحاربتهم .

اعتقدت بلقيس أن الهدية قد تلين القلب ، وتعلن الود ، وقد تفلح في دفع القتال ، وهي تجربة إن قبلها سليمان -عليه السلام- فهو قد قصد أمر الدنيا فوسائل الدنيا إذن تجدي ، وإن لم يقبلها فهو قصد أمر العقيدة الذي لا يصرفه عنه مال ، ولا عرض من أعراض هذه الأرض .

فأرادت أن تعرف موقفه بعد الهدية :

هل يستمر على رأيه وقوله؟

أم تخدعه الهدية وتتبدل فكرته؟

وما حال ملكه وجنوده؟

أرسلت بلقيس له الهدية مع رسل من عقلاء قومها وذوي الرأي منهم .

من هداية الآيات :

- ١- استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب .
- ٢- إذا ورد على إنسان كتاب بالتحية أو نحوها ينبغي أن يرد الجواب ، لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر .
- ٣- بيان أهمية ختم الكتب والرسائل لأنه أبعد عن الريبة ، وقد اصطنع الرسول -ﷺ- خاتماً ونقش على فصفه « لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ » يختم به كتبه ورسائله .
- ٤- بيان صحّة المشاورة ، وذلك للاستعانة بالآراء ، ومداراةً للأولياء .
- ٥- بيان أن الملوك لابد أن يظهروا الخوف على قومهم وأخذ الحيطة واستعظام العدو .
- ٦- بيان أن الملوك إذا دخلوا قرية في حرب أفسدوها وأهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور .
- ٧- الهدية مندوبٌ إليها ، وهي مما يورث المودة ويذهب العداوة ، وقد ثبت أن النبي -ﷺ- كان يقبل الهدية ، وفيه الأسوة الحسنة .

القيم المستفادة :

- أدب الحديث .
- القوة .
- الشورى .



س ١ : أكمل العبارات التالية بما يناسبها :

١ - احتوى كتاب النبي سليمان - ﷺ - على ثلاثة أمور رئيسة هي
..... و..... و.....

٢ - ظهر من موقف بلقيس مع كتاب سليمان - ﷺ - أنها اتصفت بعدة صفات منها
..... و.....

س ٢ : علل ما يأتي :

١ - لجوء بلقيس إلى الشورى :

.....
.....

٢ - فضلت بلقيس إرسال الهدية على القتال :

.....
.....

س ٣ : استخرج من الآيات التالية قيمة مناسبة :

١ - ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ .

.....
.....

٢ - ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ .

.....

.....

التمهيد :

لا يكتمل إيمان العبد بربه حتى يتعرف على ربه خالقه حق المعرفة وذلك لا يتحقق إلا بمعرفة ما لله تعالى من الأسماء والصفات فإن معرفة ذلك زيادة في الإيمان وبصيرة في دين الله وعرفان ، والله تعالى تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة ألا وإن إحصاءها أن يعرف العبد لفظها ومعناها ويتعبد لله تعالى بموجبها ومقتضاها والله تعالى الاسم الأعظم إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ؛ فعن بريدة بن الحصيب الأسلمي قال : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رجلاً يقولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ » .^(١)

النص

قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾^(٣٦)
 أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٣٧) قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلِكُ أَيْنَ كُنْتُ
 يَأْتِيَنِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^(٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾^(٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ
 مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ
 فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾^(٤٠)

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا	لا طاقة لهم بها .
صَغُرُونَ	الصَّغَارَ الْإِهَانَةُ التي تَسَبَّبَ عَنْهَا الذُّلُّ .
الْمَلُؤُا	أشراف القوم .
عَفَرِيَّتٌ مِّنَ الْجِنِّ	المارد الغليظ الشديد .

الشرح الإجمالي للآيات :

رسل بلقيس لسليمان - ﷺ - :

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ﴾ جاء رسل بلقيس إلى سليمان - ﷺ - بالهدية و قد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة ، و الظاهر أن سليمان - ﷺ - ، لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية ولا اعتنى به ، بل أعرض عنه فقال للرسل منهم منكرًا عليهم ومتغيظًا على عدم إجابتهم : ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾؟ أي أتصانعونني - من المصانعة وهي أن تصنع لغيرك شيئًا ليصنع لك آخر مقابله ، وهي كناية عن الرشوة وكذلك تأتي بمعنى المدارة - والمراد هنا أي أتغرونني بالمال لأترككم على شرككم وملككم؟ ﴿فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ فليست تقع عندي موقعًا ولا أفرح بها قد أغناني الله عنها وأكثر علي النعم ، ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾؟ مستأنفة ، جواب سؤال مقدر ، والاستفهام للإنكار ، أي : قال منكرًا لإمدادهم له بالمال ، مع علو سلطانه ، وكثرة ماله ، فإن ما آتاني من النبوة ، و الملك العظيم ، والأموال الكثيرة خيرٌ مما آتاكم من المال الذي في هذه الهدية . ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ توبيخًا لهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخر وخيلاء ، وأما أنا فلا أفرح بها ، وليست الدنيا من حاجتي ، لأن الله سبحانه قد أعطاني منها ما لم يعطه أحدًا من العالمين ومع ذلك أكرمني بالنبوة ، ثم أوصى رسولها إليه و وافدها الذي قدم عليه مهديدًا

والناس حاضرون يسمعون - لما رأى من عقله وأنه سينقل كلامه على وجهه - وقال : ﴿ أَنْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ بهديتهم التي قدمت بها ﴿ فَلَنَأْيِسَّنَهُمْ ﴾ لام قسم والنون لها لازمة ﴿ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ أي فلا بعثن إليهم بجنود لا طاقة لهم على دفعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً ﴾ ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم أذلة وهم صاغرون مدحورون مهزومون عليهم الصغار والعار والدمار ، وجملة ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ في محل نصب على الحال ، قيل : وهي حال مؤكدة لأن الصغار هو الذلة ، وقيل : إن المراد بالصغار هنا الأسر والاستعباد .

فلما رجع إليهم الرسول و بلغهم بما قال نبي الله سليمان - عليه السلام - لم يكن لهم بد من السمع والطاعة ، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة . قالت : والله قد عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكابرتة شيئاً ، وبعثت إليه : إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما أمرك وما تدعونا إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك وسرير ملكي ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يريته أحد حتى آتيك ، ثم توجهت إلى سليمان - عليه السلام - في جنودها ومن معها من أشرف قومها أجمعين سامعين مطيعين خاضعين وأقبلت تسير معظمة لسليمان - عليه السلام - ناوية متابعته في الإسلام ، فأخبر جبريل - عليه السلام - نبي الله سليمان - عليه السلام - بذلك ، فلما سمع بقدمهم عليه ووفودهم إليه فرح بذلك وسره فقال سليمان - عليه السلام - : ﴿ قَالَ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ .

عرش بلقيس :

بعد أن بعث سليمان - عليه السلام - الهدهد بالكتاب ، ومجيء هدية بلقيس ورده إياها طلب سليمان - عليه السلام - من ملئه أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكتها الذي تجلس عليه قبل قدومها عليه ﴿ قَالَ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا ﴾ قصد بذلك عرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم ، وكانت خلفت عرشها بسباً ووكلت به حفظة . ﴿ قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أي : قبل

أن تأتيني هي وقومها مسلمين ؛ قيل : إنما أراد سليمان -عليه السلام- أخذ عرشها قبل أن يصلوا إليه ويسلموا ، لأنها إذا أسلمت وأسلم قومها لم يحل أخذ أموالهم بغير رضاهم ، وقيل : استدعاء العرش قبل وصولها ليربها القدرة التي هي من عند الله ، ويجعله دليلاً على نبوته ، وقيل : أراد أن يختبر عقلها ، ولهذا قال : ﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ وقيل : أراد أن يختبر صدق الهدهد في وصفه للعرش بالعظم ، والقول الأول هو الذي عليه أكثر المفسرين .

حدث عظيم وآية عجيبة :

﴿ قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ والعفريت من الشياطين : القويّ المارد الغليظ الشديد ﴿ أَنَاْ أَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ﴾ ومعنى قول العفريت أنه سيأتي بالعرش إلى سليمان -عليه السلام- يعني قبل أن ينقضي مجلس حكمه الذي يجلس فيه للقضاء بين الناس ، وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ، ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ أي وإني ل ذو قدرة على إحضاره إليك ، وذو أمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك .

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ وقول أكثر المفسرين على أن الذي عنده علم من الكتاب أصف بن برخيا من بني إسرائيل وهو ابن خالة سليمان -عليه السلام- ، وكان صديقاً يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب ؛ ﴿ أَنَاْ أَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ أي قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته ؛ وهذا لا شك آية عظيمة أجراها الله -عز وجل- على يد هذا الرجل الصالح .

الابتلاء من سنن الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ في الآية حذف ، والتقدير : فأذن له سليمان -عليه السلام- فدعا الله فأتى به ، فلما رآه سليمان -عليه السلام- مستقراً عنده ، أي : رأى العرش حاضراً لديه مستقراً ثابتاً عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين ، لمست هذه المفاجأة الضخمة قلب سليمان -عليه السلام- وراعه أن يحقق الله تعالى له

مطالبه على هذا النحو المعجز ، واستشعر أن النعمة - على هذا النحو - ابتلاء ضخم مخيف يحتاج إلى يقظة منه ليجتازه ، ويحتاج إلى عون من الله - عَزَّوَجَلَّ - ليتقوى عليه ، ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم ليعرف الله - عَزَّوَجَلَّ - منه هذا الشعور فيتولاه ، فقال : ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي هذا النصر والتمكين من فضل ربي ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾ أي ليختبرني بإحضار العرش ﴿أَشْكُرُ﴾ أشكره بذلك وأعترف أنه من فضله من غير حول مني ولا قوة ، لأنه استحق بالشكر تمام النعمة ودوامها فيعود نفع ذلك عليه ، والمعنى : أنه لا يرجع نفع ذلك إلا إلى الشاكر ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ ومن كفر بترك الشكر وعدم القيام به فالله غني عن شكر الشاكرين ، ومن شكر فإنه ينال من الله - عَزَّوَجَلَّ - زيادة النعمة ، وحسن المعونة على اجتياز الابتلاء ، ومن كفر فإن الله ﴿غَنِيٌّ﴾ فإن ربي غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين ﴿كَرِيمٌ﴾ يعطي عن كرم لا عن ارتقاب للشكر على العطاء ، كريم في ترك المعاجلة بالعقوبة بنزع نعمه عنه وسلبه ما أعطاه منها .

وبعد هذا المشهد العظيم أمام النعمة والشعور بما وراءها من الابتلاء يمضي سليمان - عَليهِ السَّلَام - في تهيئة المفاجئات للملكة القادمة .

من هداية الآيات :

- ١ - الداعي إلى الله تعالى لا يقبل أن يصرفه عن دعوته مال ولا جاه .
- ٢ - لله اسم أعظم إذا دعي به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى .
- ٣ - يستوجب شكر الله على تمام النعمة ودوامها والمزيد منها ، والشكر قيد للنعمة الموجودة ، وبه تنال النعمة المفقودة .
- ٤ - الكرامة أمر خارق للعادة يجريها الله تعالى على يد ولي من أوليائه .

القيم المستفادة :

- التوحيد .
- الدعاء .
- نبذ التقليد .



التقويم

س ١ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- لم يستطع أحد أن يحضر عرش بلقيس من اليمن . ()
- ٢- الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح من بني إسرائيل . ()
- ٣- الذي أمر بتنكير عرش بلقيس كان سليمان -عليه السلام- . ()

س ٢ : علل ما يأتي :

- ١- طلب سليمان -عليه السلام- إحضار عرش الملكة بلقيس .

.....

.....

- ٢- شكر سليمان -عليه السلام- ربه عندما رأى عرش بلقيس مستقرًا عنده .

.....

.....

س ٣ : أجب عن الآتي :

- ١- من الذي استطاع إحضار عرش بلقيس لسليمان -عليه السلام- ؟

.....

.....

التمهيد :

الهداية إلى الدين نعمة كبيرة وفضل وإرشاد وتوفيق من الله تعالى لعباده المخلصين ، يهديهم إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، والعبد مفتقر إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية واستمراره فيها ، لأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله تعالى فأرشده إلى أن يسأله في كل وقت أن يمدّه بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله لسؤاله فإنه قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه .

النص

قال تعالى :

﴿ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ^ط
 قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ
 كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ^ط فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ
 قَوَارِيرَ^ط قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴿

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
نَكْرُوا	التَّنْكِيرُ هو التَّغْيِيرُ .
صَرَحَ	القصر العالي . و الصَّرْحُ البناء العالي الذاهب في السماء .
مُمرِّدٌ	مَرَّدَ الشيءَ لِيَنَّهُ وصقله ، مَرَّدَ البناءَ سَوَّاه و مَلَّسَهُ و مَرَّدَهُ طَوَّلَهُ .
قَوَارِيرَ	زجاج .
حَسِبَتْهُ لُجَّةً	اللُّجَّةُ مُعْظَمُ الماءِ ، وقيل بَحْرًا .

الشرح الإجمالي للآيات :

اختبار سليمان - ﷺ - بلقيس :

أمر سليمان - ﷺ - أن يُغيّر حُلِيِّ هذا العرش وينكّر لها ، ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال : ﴿ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ غيروا معاملها المميزة له ، لنعرف إن كانت فراستها وفطنتها تهتدي إليه بعد هذا التنكير أم يلبس عليها الأمر فلا تنفذ إلى معرفته من وراء هذا التغيير ، فنزع منه فصوصه ومرافقه وما كان عليه من شيء . ﴿ نَنْظُرُ أَنَّنَدَى أَمْرٌ نَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ولعل هذا كان اختباراً من سليمان - ﷺ - لذكائها وتصرفها في أثناء مفاجأتها بعرشها ، لننظر إلى عقلها فوجدت ثابتة العقل . . ثم بعد ذلك مشهد الملكة ساعة الحضور :

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴾ وكانت بلقيس حكيمةً فعرفته ولكنها شبت عليهم كما شبهوا عليها ، إنها مفاجأة ضخمة لا تخطر للملكة على بال ؛ فأين عرشها في مملكتها ، وعليه أفعالها وحراسها؟ أين هو من بيت المقدس مقر ملك سليمان - ﷺ - ؟ وكيف جيء به؟ ومن ذا الذي جاء به؟

ولكن العرش عرشها من وراء هذا التغيير والتنكير! ترى أنها أتتني أنه هو بناءً على تلك الملابس؟ أم تراها تقول : إنه هو بناءً على ما تراه فيه من أمارات؟ وقد انتهت إلى جواب ذكي أريب فقالت : إن قلت هو خشيت أن أكذب ، وإن قلت لا خشيت أن أكذب ، ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ﴾ لا تنفي ولا تثبت ، مما يدل على فراسة وبديهة وفطنة و غزارة فهم في مواجهة المفاجأة العجيبة ، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن ، ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب .

فكأنما أخبرت بسر المفاجأة ، فأراد سليمان -عليه السلام- أن يظهر لها أن الجن مسخرون له فقال الله تعالى على لسانه : ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ .

ثم يأتي السياق لبيان ما كان قد منعها قبل ذلك من الإيمان بالله ، وصدها عن الإسلام عندما جاءها كتاب سليمان ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله ، اتباعاً لدين آبائهم وأسلافهم ، لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا حداهم على ذلك .

وكان سليمان -عليه السلام- قد أعد للملكة مفاجأة أخرى لم يكشف السياق عنها بعد ، كما كشف عن المفاجأة الأولى قبل ذكر حضورها - وهذه طريقة أخرى .

إسلام وإذعان لله رب العالمين :

أمر سليمان -عليه السلام- ببناء صرح وكان الصرح قصرًا من زجاج ، وعمل في ممره ماءً وجعل عليه سقفًا من زجاج ، وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء وقد عمله ليريهام ملكاً أعظم من ملكها ، وأمرت بدخول الصرح وسليمان -عليه السلام- جالس على سريره فيه ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ فلما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق ، وتعجبت من كون

كرسيه على الماء ، ولم يكن بُد من امتثال الأمر فلقد كانت المفاجأة قصراً من البلور ، أقيمت أرضيته فوق الماء ، وظهر كأنه لجة ؛ فلما قيل لها : ادخلي الصرح ، حسبت أنها ستخوض تلك اللجة فكشفت عن ساقها ، فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان -عليه السلام- عن سرها وقال : ﴿إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ ! ووقفت الملكة مدهوشة أمام هذه العجائب التي تعجز البشر ، وتدل على أن سليمان -عليه السلام- مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر ، فرجعت إلى الله تعالى وناجته معترفةً بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره ، وعند ذلك استسلمت معلنةً إسلامها مع سليمان -عليه السلام- لا لسليمان ، وأذعنت وأسلمت وأقرت على نفسها بالظلم ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

لقد اهتدى قلبها واستنار فعرفت أن الإسلام لله تعالى ليس استسلاماً لأحد من خلقه ، ولو كان هو سليمان النبي الملك صاحب هذه المعجزات ، إنما الإسلام إسلام الله رب العالمين ، ومصاحبة للمؤمنين به والداعين إلى طريقه على سنة العدل ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وجاء السياق بهذه اللفتة وأبرزها للكشف عن حقيقة الإيمان بالله والإسلام له ، فهي العزة التي ترفع المغلوبين إلى صف الغالبين بل التي يصبح فيها الغالب والمغلوب أخوين في الله لا غالب منهما ولا مغلوب .

ولقد كان كبراء قريش يستعصون على دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لهم إلى الإسلام ، وفي نفوسهم الكبر أن ينقادوا إلى محمد رسول الله ، فتكون له الرياسة عليهم والاستعلاء ، فها هي ذي امرأة في التاريخ تعلمهم أن الإسلام لله يسوي بين الداعي والمدعويين ، بين القائد والتابعين ، فإنما يسلمون مع رسول الله ، لله رب العالمين .

من هداية الآيات :

- ١- بيان ذكاء بلقيس و فطنتها و فراستها .
- ٢- حرمة كشف المرأة ساقها في حضرة الرجال ، وذلك فطرة فيها حتى عند الكافرة .
- ٣- فضيلة الاقتداء بالصالحين إذا علم صحة طريقته بالدليل .
- ٤- الاستسلام لله رب العالمين والانقياد لشرعه هو طريق السعادة .
- ٥- الشرك بالله تعالى من أعظم الظلم .
- ٦- ظلم العبد لنفسه يكون بأن يعرضها للهلاك بفعل الشرك والموبقات .

القيم المستفادة :

- أدب الحديث .
- القوة .
- الشورى .



س ١ : وضح معنى المفردات التالية :

نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا :

الصَّرَحَ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ :

لُجَّةً :

س ٢ : علل ما يأتي :

١- أمر سليمان -عليه السلام- بتنكير العرش وتغيير هيأته :

.....

.....

.....

.....

٢- استجابة بلقيس لدعوة سليمان -عليه السلام- إلى الإسلام :

.....

.....

.....

.....

س ٣ : استخرج من الآيات ما يدل على المعاني التالية :

١- اختبار سليمان -عليه السلام- لفطنة بلقيس .

.....

.....

.....

٢- ثبات عقل بلقيس وذكائها ودهاءها :

.....

.....

.....

.....

٣- كشف بلقيس عن ساقها :

.....

.....

.....

.....

س ٤ : أجب عن الآتي :

١- بينت الآيات سبب ضلال قوم سبأ ، وضح ذلك :

.....

.....

.....

.....

٢- بم أقرت بلقيس حين رأت الماء؟

.....

.....

.....

.....

التمهيد :

يخبر الله تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر ، وكذبوا نبي الله صالح - ﷺ - ، ومكروا به وهو لا يشعر ، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهموا بقتل صالح - ﷺ - أيضاً ، فمكر الله بالمفسدين وهم لا يشعرون ، ودمرهم وقومهم أجمعين .
 وأنجى الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وترك بيوت المفسدين خاوية وجعلها لمن بعدهم آية .
 والمشركون في مكة يمرون بهذه البيوت المدمرة الخاوية ولكنهم لا يعتبرون .
 وهذه الآيات تبين لنا قصة ثمود ومصيرهم بعد كفرهم بالله ، وتكذيبهم لرسوله صالح - ﷺ - .

النص

قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ٤٥﴾
 قَالَ يَتَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٦﴾
 قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَجْعَةٌ
 رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ
 لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ٥١﴾
 فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ٥٣﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
فَرِيقَانِ	طائفتان مؤمنة موحدة وأخرى كافرة مشركة .
تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ	تطالبون بالعذاب قبل الرحمة .
لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ	هلا تطلبون المغفرة من ربكم بتوبتكم إليه .
لَوْلِيَّهِ	لرھط صالح - ﷺ - الذي له ولاية الدم .
لَنَبِّئَنَّهُ وَأَهْلَهُ	ليبيت صالح - ﷺ - وأهله ثم نفتك به ، والبيات مباغطة العدو ليلاً .
أَطِيعْنَا بِكَ	تشاء منك .
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ	تختبرون بالخير والشر .
الْمَدِينَةِ	مدينة صالح - ﷺ - وهي حجر ثمود .
مَا شَهِدْنَا	ما حضرنا .
مَهْلِكٌ	مقتل .
وَمَكْرُوا	احتالوا .
دَمَّرْنَاهُمْ	أهلكناهم .
يُؤْتُهُمْ خَاوِيَةً	مساكنهم خالية منهم .
لَّآيَةً	لعبرة .

الشرح الإجمالي للآيات :

وحدانية الله تعالى :

لما ذكر الله تعالى قصة سليمان -عليه السلام- مع بلقيس ، ذكر قصة صالح -عليه السلام- مع ثمود ، وذلك تقريراً لنبوة رسوله محمد -ﷺ- ، ووضع المشركين من قريش أمام أحداث تاريخية تمثل حالهم مع نبيهم لعلمهم يذكرون فيؤمنوا قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ﴾ إلى قبيلة ثمود ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي في النسب ﴿صَلِّحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال لهم اعبدوا الله وحده ، وقد لخص رسالة صالح -عليه السلام- في حقيقة واحدة : ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أن وحدوا الله في عبادته وفي ربوبيته وفي أسمائه وصفاته ، والتوحيد الذي جاءت به الرسل هو توحيد العبادة لله وحده ، وهو القاعدة التي تركز عليها رسالة السماء إلى الأرض في كل جيل ، ومع كل رسول ، ومع أن كل ما حول البشر من مخلوقات وكل ما يكمن في أنفسهم يهتف بهم إلى الإيمان بهذه الحقيقة الواحدة ، فقد أمضت البشرية أجيالاً وأزماناً لا يعلمها إلا الله ، وهي تقف أمام هذه الحقيقة وقفة الإنكار والجحود .

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ موحدون ومشركون ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ فريق يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده ، وفريق يدعو إلى عبادة الأوثان مع الله تعالى ، وشأن التعارض أن يحدث التخاصم فكل فريق يريد أن يخصم الفريق الآخر وكل فريق يزعم أن الحق معه .

وهنا ندرك من القصص القرآني أن المكذبين المعرضين استعجلوا عذاب الله تعالى الذي أنذرهم به صالح -عليه السلام- ، بدلاً من أن يطلبوا هدى الله تعالى ورحمته - شأنهم في هذا شأن مشركي قريش مع الرسول الكريم -ﷺ- فأنكر عليهم نبي الله صالح -عليه السلام- أن يستعجلوا بالعذاب ولا يطلبوا الهداية ، وحاول أن يوجههم إلى الاستغفار لعل الله تعالى يدركهم برحمته قال لهم : ﴿قَالَ يَنْفَرُ لَمْ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الاستفهام إنكاري (والسيئة كالحسنة) صفة لمحذوف والتقدير لم تستعجلون بالحال السيئة قبل الحسنة؟ والمراد أنه يستنكر مطالبتهم بالعذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ فالتعيين أن تطالبوا بالحسنة التي هي

الرحمة لا السيئة التي هي العذاب ، فبادروا بالإيمان والطاعة طلباً لحسنة الدنيا والآخرة . ولكنهم لا يؤمنون وهذا ما كان عليه المشركون من قريش ، فقد بلغ فساد قلوبهم أن قالوا للرسول - ﷺ - :
﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتُلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ^(١) . بدلاً من أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إلى الإيمان به والتصديق ! وكذلك كان قوم صالح - عليه السلام - يقولون ولا يستجيبون لتوجيه رسولهم إلى طريق الرحمة والتوبة والاستغفار فيقول لهم إنكم بكفركم ومعاصيكم تستعجلون عذابكم **﴿لَوْلَا﴾** هلا **﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾** بترككم الشرك والمعاصي **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** كي ترحموا بعد هذا الوعظ والإرشاد . و(هلا) أداة تخفيض حضهم نبيهم على التوبة بالاستغفار والإقلاع عن الشرك والمعاصي ، رجاء أن يرحمهم الله تعالى فلا يعذبهم في الدنيا ولا في الآخرة ، وقال تعالى في فضل الاستغفار **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾** ^(١٠) **﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾** ^(١١) **﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾** ^(١٢) ^(٢) ، فكان جواب القوم ما أخبر الله تعالى به عنهم في قوله **﴿قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ وَيَمُنْ مَعَكَ﴾** تشاء منا بك وبأتباعك المؤمنين - **﴿أَطِيزَنَا﴾** أصلها : تطيرنا فقلبت التاء طاء لقرب مخرجها من الطاء ، وأدغمت في الطاء وجيء بهمزة الوصل للتوصل إلى النطق بالساكن ، والتطير معناه التشاؤم وهو مأخوذ من الطير تطير يميناً أو شمالاً فيتيمنون بذلك أو يتشاءمون ، فرد عليهم بقوله **﴿طَطِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾** أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكروه عند الله تعالى علمه وهو كائن لا محالة ، وليست القضية تشاؤماً ولا تيامناً **﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾** فقد كانوا يعتذرون عن ضيقهم به وبالذين آمنوا معه بأنهم يرونهم شؤماً عليهم ، ويتوقعون الشر من ورائهم ، والتطير والتشاؤم مأخوذ من عادة الأتوام الجاهلة التي تجري وراء الخرافات والأوهام ، فقد كان الواحد منهم إذا هم بأمر لجأ إلى طائر فزجره أي أشار إليه مطارداً فإن مر سانحاً عن يمينه إلى يساره استبشر ومضى في الأمر ، وإن مر بارحاً يساره إلى يمينه تشاءم وتوقع الضر ، وما تدري الطير الغيب وما تنبئ حركاتها التلقائية عن شيء من المجهول ، ولكن

١- سورة الأنفال (٣٢) .

٢- سورة نوح (١٠ - ١٢) .

النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول مغيب تكل إليه ما لا تعرفه وما لا تقدر عليه ، فإذا لم تكل المجهول المغيب إلى الإيمان بعلام الغيوب وكلته إلى مثل هذه الأوهام والخرافات التي لا تقف عند حد ، ولا تخضع لعقل ولا تنتهي إلى اطمئنان و يقين .

وحتى هذه اللحظة ترى الذين يهربون من الإيمان بالله تعالى ، ويستنكفون أن يكلوا الغيب إليه ، بزعمهم أنهم قد انتهوا إلى حد من العلم لا يليق معه أن يركنوا إلى خرافة الدين ! هؤلاء نراهم يتشائمون ومن أمثلة ذلك ، يعلقون أهمية على رقم (١٣) ، وعلى مرور قط أسود يقطع الطريق أمامهم . . إلى آخر هذه الخرافات الساذجة ذلك أنهم يعاندون حقيقة الفطرة وهي رجوعها إلى الإيمان وعدم استغنائها عنه ، وركونها إليه في تفسير كثير من حقائق هذا الكون التي لم يصل إليها علم الإنسان ، وبعضها لن يصل إليه في يوم من الأيام لأنه أكبر من الطاقة البشرية ، ولأنه خارج عن اختصاص الإنسان ، زائد على مطالب خلافته في هذه الأرض !

فلما قال قوم صالح -عليه السلام- قولتهم الجاهلة ﴿ أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ رداهم صالح -عليه السلام- إلى نور اليقين ، وإلى حقيقته الواضحة . قَالَ : ﴿ طَيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله تعالى ، والله تعالى قد سنَّ سنناً وأمر الناس بأمر ، وبَيَّنَّ لهم الطريق المستير ، فمن اتبع سنة الله تعالى وسار على هدايه ، فهناك الخير دون حاجة إلى زجر الطير ومن انحرف عن السنة وحاد عن السواء ، فهناك الشر دون حاجة إلى التشاؤم والتطير .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ وتفتنون بنعمة الله تعالى ، وتختبرون بما يقع لكم من خير ومن شرٍّ فاليقظة وتدبر السنن ، وتتبع الحوادث والشعور بما وراءها من فتنة وابتلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية ، لا التشاؤم والتطير ببعض خلق الله تعالى من الطير ومن الناس سواء .

وهكذا ترد العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح والاستقامة في تقدير الأمور ، وترد قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم ، وتشعرهم أن يد الله تعالى وراء هذا كله ، وأن ليس شيء مما يقع عبثاً أو مصادفة .

فساد كبراء القوم :

كان من قوم صالح -عليه السلام- تسعة نفر من كبرائهم لم يبق في قلوبهم موضع للصلاح والإصلاح ، فراحوا يأترون به ويدبرون له ولأهله في الظلام .

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ كان في مدينة صالح -عليه السلام- وهي حجر ثمود ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ الرهط العدد من الثلاثة إلى العشرة ، وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة دعما ودعيم وهرما وهريم وداب وصواب ورياب ومسطح وقدار بن سالف عاقر الناقة أي الذي باشر ذلك بيده ، قال الله تعالى ﴿ فَادَّأُوا صَاحِبَهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾^(١) .

﴿ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بالكفر والمعاصي ، ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ بالطاعات ، قال الضحاك : كان هؤلاء التسعة عظماء أهل المدينة وكانوا يفسدون في الأرض ويأمرون بالفساد ، فجلسوا عند صخرة عظيمة فقلبها الله تعالى عليهم ، وقيل فسادهم أنهم يتبعون عورات الناس ولا يسترون عليهم ، وكانوا أهل كفر ومعاص جمّة ، وجملة أمرهم أنهم يفسدون ولا يصلحون ، وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم .

خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين ، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا في عقر الناقة وتعاونوا عليها ، وتحالفوا على قتل صالح -عليه السلام- من بين قوم ثمود .

مشورة ومكر كبار :

﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ أي تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح -عليه السلام- ليلاً ، فكادهم الله تعالى وجعل الدائرة عليهم ، قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين ، وقيل في قوله ﴿ تَقَاسَمُوا ﴾ فعلاً مستقبلاً وهو أمر : أي قال بعضهم لبعض احلفوا ، ويجوز أن يكون ماضياً في معنى الحال كأنه قال : قالوا متقاسمين بالله تعالى .

١- سورة القمر (٢٩) .

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ ﴿قرأ الجمهور (مُهْلِك) بضم الميم ، وقرأ حفص (مَهْلِك) بفتحها ، أي : ما شهدنا إهلاك من أهلكهم والمراد من وليه : ولي الدم من عصيته . قرأ الجمهور : لنبيته وأهله ثم لنقولن وقرأ خلاف الجمهور : (لنبيته) (ولتقولن) بناء الخطاب وهو قول الماكرين لبعضهم البعض والمعنى لا يختلف .

ثم نقول لرهط صالح ما حضرنا ولا ندرى من قتله وقتل أهله ، وإنا لصادقون بقولنا ، وفيه إنكار لقتله .

جزاء الله للرهط :

﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح - عليه السلام - بسيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله ، وصالح - عليه السلام - لا يشعر بذلك ﴿وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ فأخذناهم بعقوبتنا إياهم وتعجيلنا العذاب لهم ، قال الطبري في معنى مكر الله تعالى : أنه أَخَذَهُ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ عَلَى غَرَةٍ ، أو استدراجهم من استدراج على كفره به ومعصيته إياه ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بمكرنا وشعرنا بمكرهم .

وروي عن مكرهم أن هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأيام بعد عقر الناقة وقد أخبرهم صالح - عليه السلام - بمجيء العذاب ، اتفقوا وتحالفوا على أن ينالوا دار صالح - عليه السلام - ليلاً ليقتلوه وأهله المختصين به ، قالوا : فإذا كان كاذباً في وعيده أوقعنا به ما يستحق وإن كان صادقاً كنا عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا قاله مجاهد وغيره .

قال ابن عباس : أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة فامتألت بهم دار صالح ، فأتى التسعة دار صالح - عليه السلام - شاهرين سيوفهم ، فقتلهم الملائكة رضخاً بالحجارة ، فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها ، وقال قتادة : خرجوا مسرعين إلى صالح فسلط عليهم ملك بيده صخرة فقتلهم ، وقال السدي : نزلوا على جرف من الأرض فانهار بهم فأهلكهم الله تعالى تحته . وقيل : اختفوا في غار قريب من دار صالح فانحدرت عليهم صخرة شذختهم جميعاً فهذا ما كان من مكرهم ، ومكر الله تعالى مجازاتهم على ذلك .

والله -عز وجل- لا يمكر إلا بمن مكر فهي صفة مدح إذا كان بمقابلة مكر وهو صفة ذم إذا مكر ابتداءً وهذا منفي عن الله تعالى -عز وجل- .

تأمل عاقبة غدر ثمود :

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ فانظر يا نبينا بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح -عليه السلام- ، كيف كانت؟ وما الذي أورثه اعتداؤهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك ستتنا فيمن كذب رسلنا وطغى علينا من سائر الخلق ، فحذر قومك من قريش أن ينالهم بتكذيبهم إياك ما نال ثمود بتكذيبهم صالح -عليه السلام- من المثالات ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أهلكتناهم بالصيحة وقد قيل : إن هلاك الجميع كان بصيحة جبريل -عليه السلام- ، والأظهر أن التسعة هلكوا بعذاب مفرد ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة ، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ليس فيها من أحد قد أهلكتهم الله تعالى و أبادهم ، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بظلمهم أنفسهم و شركهم بالله تعالى وتكذيبهم رسولهم ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ إن في فعلنا بثمرود وما قصصنا عليك يا نبينا من القصة لعظة لقومك الذين يكذبوك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتنا فيتعظون .

نجاة المؤمنين :

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وأنجينا من عذابنا الذي أحللناه بثمرود رسولنا صالح -عليه السلام- والمؤمنين به وهم أربعة آلاف ، ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يتقون الله تعالى بإيمانهم ويخافون عذابه ، فكَذَلِكَ نُنْجِيكَ يَا مُحَمَّد وَأَتْبَاعَكَ عِنْدَ إِحْلَالِنَا عِقَابِنَا بِمُشْرِكِي قَوْمِكَ .

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة النبي ﷺ - .
- ٢- بيان أن الخصومة بين الرسل وأقوامهم كانت في التوحيد .
- ٣- تقرير حقيقة أن الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي إلا بانتهاء الباطل .
- ٤- العمل بمعاصي الله تعالى هو الفساد في الأرض ، والعمل بطاعته هو الإصلاح فيها .
- ٥- تقرير قاعدة ﴿لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١) .
- ٦- ديار الظالمين مآلها الخراب .

القيم المستفادة :

- ١- وحدانية الله تعالى .
- ٢- النجاة بالإيمان .
- ٣- طاعة الله تعالى .

١- سورة فاطر (٤٣) .



س ١ : لِمَ ذكر الله تعالى قصة نبيه صالح - ﷺ - بعد ذكر قصة سليمان - ﷺ - مع بلقيس؟

.....

.....

.....

.....

س ٢ : بَيِّنْ معنى قوله تعالى ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ :

.....

.....

.....

.....

س ٣ : علل ما يلي :

١ - خص الله تعالى التسعة رهط بالخبر عنهم وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين :

.....

.....

٢ - ذكر الله تعالى قصص السابقين في القرآن الكريم :

.....

.....

س ٤ : اذكر صفات الذين أنجاهم الله تعالى مع صالح - عيسى - :

.....

.....

س ٥ : ما فساد التسعة رهط في الأرض ؟

.....

.....

.....

.....

س ٦ : بيّن معاني المفردات الآتية :

- مَا شَهِدْنَا :

- لَأَيَّةَ :

- لَوْلِيَّهِ :

التمهيد :

الآيات التالية بداية قصة لوط - ﷺ - مع قومه الذين يرتكبون الفواحش جهاراً نهاراً على غير الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وإنذاره لهم لكن دون جدوى ، فأنزل الله تعالى عليهم عقابه ونقمته .

وفي الآيات بياناً لخطر هذه الفاحشة وهي إتيان الذكران من الناس ، وهي من أعظم الفواحش التي عَصِيَ الله بها ، فهي سبب لمقت الله وغضبه وموجبة للقتل في الدنيا وهي سبب عظيم للأمراض العضوية والنفسية ، وما فيها من انتكاس الفطرة وموت القلب وذهاب نور الوجه ، مع ما لصاحب تلك الفاحشة من العذاب الأليم والنكال الشديد يوم القيامة .

النص

قال تعالى :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ٥٤ ﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ٥٥ ﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهَرُونَ ٥٦ ﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ
الْغَابِطِينَ ٥٧ ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ٥٨ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
لِقَوْمِهِ	هم سكان مدن عمورية وسدوم .
الْفَحِشَةَ	الخصلة القبيحة الشديدة القبح وهي إتيان الذكران .
ءَال لُوطٍ	هو لوط - عَلَيْهِ السَّلَام - وامراته المؤمنة وابنتاه .
مِّن قَرَبَتِكُمْ	مدينتكم سدوم .
يَنْطَهَرُونَ	يتنزهون عن الأقدار والأوساخ .
قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِ	حكمنا عليها أن تكون من الهالكين .
فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ	قُبْح مطر المنذرين من أهل الجرائم أنه حجارة من سجيل .

الشرح الإجمالي للآيات :

فساد قوم لوط :

قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ يخبر الله تعالى عن عبده ورسوله لوط - عَلَيْهِ السَّلَام - أنه أُنذِر قومه نعمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، فقال : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ ﴾ منكرًا عليهم موبخًا لهم على فعلتهم الشنعاء وهي إتيان الذكور دون الإناث وتلك فاحشة عظيمة استغنى بها الرجال بالرجال ثم قال ﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أي يرى بعضكم بعضًا دون حياء أو خجل إذ كانوا يأتونها في أُنديتهم عيانًا بلا ستر ولا حجاب . ﴿ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ قال تعالى : ﴿ أَيْنَكُمْ ﴾ استفهام للإنكار والتوبيخ لفعلتهم الشنعاء ﴿ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ أعاد ذكرها لفرط قبحها وشناعتها ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴾ أي لا تعرفون شيئًا لا طبعًا ولا شرعًا كما

قال تعالى في موضع آخر ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾^(١) وهذا يخالف الطبع البشري السوي ويخالف شرع الله تعالى ، لذلك وصفهم بالجهل بمعنييه : الجهل بمعنى فقدان العلم ، والجهل بمعنى السفه والحمق ، وكلا المعنيين متحقق في هذا الانحراف البغيض ، فالذي لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شيء ولا يعلم شيئاً ، وقال القرطبي ﴿تَجْهَلُونَ﴾ إما أمر التحريم أو العُقوبة .

تهكم واستهزاء :

بعد خطاب لوط -عليه السلام- لقومه كان جوابهم في اختصار أن هموا بإخراج لوط -عليه السلام- ومن سمع دعوته وهم أهل بيته زوجته المؤمنة وابنتاه -إلا امرأته الأخرى - بحجة أنهم أناس يتطهرون ! قال تعالى : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ آلُ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ أي يتخرجون من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . وقولهم ﴿إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ أي عن أدبار الرجال ، يقولون ذلك استهزاء منهم ، قاله مجاهد . وقال قتادة : عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء ، ﴿يَّتَطَهَّرُونَ﴾ عن الإتيان في هذا المأوى ، يقال : تطهر الرجل أي تنزه عن الإثم .

نجاة المؤمنين وهلاك الظالمين :

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ ۚ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره : فأنجينا لوطاً -عليه السلام- وأهله من عذابنا -سوى امرأته التي كانت على دين قومها- حين أحللناه بهم ، ثم ﴿قَدَرْنَاهَا﴾ قرأ عاصم : «قَدَرْنَا» مخففاً والمعنى واحد . يقال قد قدرت الشيء قدراً وقدراً وقدرته ، يقول : فإن امرأته قدرناها : جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي الباقيين في عذاب الله ، ومن الهالكين مع قومها ، لأنها كانت ردءاً لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ،

١- سورة الشعراء (١٦٥-١٦٦) .

فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم لأنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله لوط -عليه السلام- لا كرامة لها فيبوت الأنبياء معصومة ؛ قال ابن عباس وقتادة : غبر الشيء إذا مضى ، وغبر إذا بقي . وهو من الأضداد . . والأكثر في اللغة أن يكون الغابر الباقي .

وقوله تعالى في الآية ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ هو بيان لكيفية إهلاك الله لقوم لوط -عليه السلام- بأن أمطر الله تعالى عليهم حجارة من سجيل منضود ، فأهلكهم ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي قُبْح هذا المطر من مطر المنذرين الذين كذبوا بما أنذروا به وأصروا على الكفر والمعاصي ، وهذا المطر كان بعد أن جعل الله عاليّ بلادهم سافلها ، أردف خسفها بمطرٍ من حجارة لتصيب من كان بعيداً عن المُنْذَن .

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان عليه قوم لوط -عليه السلام- من الفساد والهبوط العقلي والخلقي .
- ٢- تحريم فاحشة قوم لوط -عليه السلام- وأنها أقبح شيء وأن فاعلها أحط من البهائم .
- ٣- بيان أن الجهل بالله تعالى وما يجب له من الطاعة ، وبما لديه من عذاب وما عنده من نعيم مقيم هو سبب كل شر في الأرض وفساد ، ولذا كان الطريق إلى إصلاح البشر هو تعريفهم بالله تعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيب للسعادة والكمال .
- ٤- بيان أن الظلمة إذا أعمتتهم الحجب والبراهين يفعزون إلى القوة .
- ٥- بيان أن المرء إذا أذمن على قبح قول أو عمل يصبح غير قبيح عنده .
- ٦- سنة الله تعالى في إنجاء أوليائه وإهلاك أعدائه بعد إصرار المنذرين على الكفر والمعاصي .

القيم المستفادة :

- ١ - بغض الفواحش .
- ٢ - حب المصلحين .
- ٣ - توقير الدعاة .

التقويم

س ١ : صل الكلمة بمعناها :

معناها	الكلمة
مديتكم سدوم .	قَدَرْنَهَا مِنَ الْغَيْرِينَ
حكمنا عليها أن تكون من الهالكين .	يَنْطَهَرُونَ
هم سكان مدن عمورية وسدوم .	مِّن قَرَبَتِكُمْ
يتنزهون عن الأقدار والأوساخ .	لِقَوْمِهِ

س ٢ : بم علل قوم لوط إخراجهم له ولأهله؟

.....

.....

.....

.....

س ٣ : قال تعالى ﴿ أَيُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ﴾ ما نوع الاستفهام في الآية السابقة؟ ولم كرر ذكر الفاحشة؟

.....

.....

.....

.....

س ٤ : فسّر قوله تعالى ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِ﴾ .

.....

.....

.....

.....

س ٥ : كيف أهلك الله تعالى قوم لوط - عليهما السلام - ؟

.....

.....

.....

.....

س ٦ : اذكر ثلاث قيم مستفادة من الدرس :

.....

.....

.....

.....

تمهيد :

تتفاوت عقول الناس في قبول دين الحق فمنهم المؤمنون ، ومنهم الكافرون الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فهم في ضلالهم يعمهون ، ويشركون مع الله تعالى أوثاناً لا تنفع ولا تضر ، ولا تدفع عن أنفسهم ولا عن أوليائها سوءاً ، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعاً ، وهذا الأمر لا يُشكل على من له عقل فكيف يستجيرون بها؟ فيقيم الله تعالى الحجة عليهم وعلى عجز ألهتهم من واقعهم .

النص

قال تعالى :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ ﴾ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦٤)

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
أَصْطَفَى	اختار .
حَدَّاقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ	بساتين ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها .
يَعْدِلُونَ	يجعلون لله تعالى عدلاً وظهيراً .
قَرَارًا	مُسْتَقَرًّا .
خِلَالَهَا	وَسَطَهَا .
رَوَاسِيَ	ثَوَابِت .
حَاجِزًا	فاصلًا .
الْمُضْطَرَّ	ذو الضرورة والضرورة هي الحال المحوجة إلى الأشياء عسرة الحصول كالجوع والمرض والخوف ونحوهما .
السُّوءَ	الضر ، المرض وغيره .
قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ	ما تتعظون إلا قليلاً .
بُشْرًا بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ	مبشرة بين يدي المطر إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر .
أَمَّنْ يَبْدِئُ الْخَلْقَ	يبدؤه في الأرحام ، ثم يعيده يوم القيامة .
بُرْهَانَكُمْ	حجتكم .

الشرح الإجمالي للآيات :

حمداً لله تعالى على نعمه :

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾

يخاطب الله تعالى نبيه بقوله ﴿قُلِ﴾ أي يا نبيّنا ، أمراً له أن يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد هو وصف الله تعالى بالجميل استحقاقاً على ما أنعم به على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ وأن يسلم على عباد الله الذين اختارهم وهم رسله وأنبياءه الكرام ، وقيل المراد بعباده الذين اصطفى هم أصحاب محمد ﷺ - رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، ولا تعارض بين القولين فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى يكونون منهم ، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله الكريم ومن اتبعه - بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر - أن يحمده على جميع أفعاله وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار ، وفيها تعليم له ولأئمة إذا تجددت لهم نعمة أن يحمدا الله تعالى عليها ، وأيضاً فيها أدب رفيع وهو من افتتح كلامه مذكراً أو واعظاً يفتح كلامه بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ - ، وقوله تعالى ﴿اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ استفهام يفيد الإنكار فينكر الله تعالى على المشركين عبادتهم مع الله آلهة أخرى .

عظيم خلق السماوات والأرض :

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي من قدر على خلق تلك السماوات في ارتفاعها وصفائها ، وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة ، وخلق الأرض في استفالها وكثافتها ، وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار والفيافي والقفار ، والزروع

والأشجار والثمار والبحار والحيوان ، على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان ، من خلق ذلك كله خيراً أم ألهمتهم؟ وقيل أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خيراً أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ سؤال استفهام للمشرّكين يفيد التوبيخ لهم ، وتنبيه على قدرة الله عزّ وجلّ ، وبيان عجز ألهمتهم .

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي أنزل من السماء المطر فجعله رزقاً للعباد ،

﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ الحديقة البستان الذي عليه حائط ، والبهجة المنظر الحسن الذي يبهج من رآه ، ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ ، ﴿مَا﴾ للنفي ، ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا ، أي ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ولا يقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرها ؛ إذ هم عجزة عن الإتيان بمثلها لأن ذلك إخراج الشيء من العدم إلى الوجود ، وأنتم لم تكونوا قادرين على إنبات أشجارها وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد ، كما اعترف به هؤلاء المشركون كما في قوله تعالى في موضع آخر

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (١) أي هم معترفون بأنه الخالق لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق ، ولهذا قال تعالى

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ قال ذلك على جهة التوبيخ أي هل معبود مع الله يعينه على ذلك؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ينحرفون عن الحق والقصد ويكفرون بالله تعالى ، ويجعلون له عدلاً ويعبدون غيره من الأصنام والأوثان .

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بسيطاً ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك ، ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ أي جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة ، شقها في وسطها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار ، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بحسب

مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم ، حيث ذرأهم في أرجاء الأرض وسيّر لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه ، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبلاً شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تتمد بكم ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً أي مانعاً يمنعهما من الاختلاط لئلا يفسد أحدهما الآخر ، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة ، منه فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس ، والغرض منها أن تكون عذبة زلالاً ليستقى الإنسان والحيوان والنبات والثمار منها ، والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب ، والغرض منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاباً لئلا يفسد الهواء بريحتها كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣) ، وهذا الحاجز ليس جسماً غير الماء إنما هو تفاوت الثقل النسبي لاختلاف الأجزاء المركب منها الماء المالح والماء العذب ، فالحاجز حاجز من طعميهما وليس جسماً آخر فاصلاً بينهما ، ﴿أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ أي إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غيره فلم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني كأنهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوجدانية .

لجوء الإنسان إلى الله تعالى عند الشدائد :

﴿أَمَّنْ يَحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾

ينبه الله تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل كما قال تعالى ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ (٥٣) ثم قال تعالى ﴿أَمَّنْ يَحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر المضطرين سواه ، والإنسان بفطرته يلجأ إلى الله تعالى عند الشدائد ، وقيل جاء رجل إلى مالك بن دينار فقال : أنا أسألك بالله أن تدعولي فأنا مضطر قال : إذا فاسأله فإنه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقوله تعالى ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ أي يبعده ، والسوء هو ما يسوء المرء من مرض وجوع وعطش وقحط وجذب .

١- سورة الفرقان (٥٣) .

٢- سورة النحل (٥٣) .

قال الشاعر :

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرَ ضَيِّقٌ عَلَيَّ فَمَا يَنْفِكَ أَنْ يَتَفَرَّجَا
وَرُبَّ أَخٍ سُدَّتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا لَمَّا دَعَا اللَّهَ مَخْرَجَا

وعن أبي تيممة الهجيمي عن رجل منهم قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَامَ تَدْعُو ؟ قَالَ «أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي إِنْ مَسَّكَ ضُرٌّ فَدَعْوَتُهُ كَشَفَ عَنْكَ ، وَالَّذِي إِنْ أَضَلَّتْ بِأَرْضٍ قَفَرٍ فَدَعْوَتُهُ رَدَّ عَلَيْكَ ، وَالَّذِي إِنْ أَصَابَتْكَ سَنَةٌ فَدَعْوَتُهُ أَتَتْ لَكَ» قَالَ قُلْتُ أَوْصِنِي قَالَ : «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَقِيِّ وَاتَّزِرَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَلِإِلَى الْكُعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالُ الْإِزَارِ فَإِنْ إِسْبَالُ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ» ^(١) (ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود قال هذا الرجل : كنت أكارى على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني ، فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق عن طريق غير مسلوكة فقال لي : خذ في هذه فإنها أقرب فقلت : لا خيرة لي فيها . فقال : بل هي أقرب ، فسلكناهما فانتبهينا إلى مكان وعر ووادٍ عميق وفيه قتلى كثيرة ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنزل ، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسلّ سكينًا معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني فناشدته الله وقلت : خذ البغل بما عليه ، فقال : هو لي وإنما أريد قتلك ، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه وقلت : إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين ، فقال : عجل فقامت أصلي فأرتج عليّ القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفًا متحيرًا وهو يقول هيه افرغ ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى : ﴿ اَمِّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي ويده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فخرّ صريعًا فتعلّقت بالفارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالمًا) .

١- رواه أحمد في مسنده .

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ جعل جيلاً يخلف جيلاً وهكذا الموجود خلف لمن سلف وسيكون سلفاً لمن خلف ، أي يخلف قرناً لقرن قبلهم وخلفاً لسلف ، ولو شاء لأوجد لهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض ، بل لو شاء الله تعالى لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ، ولو شاء أن يجعل بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد ، لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة ، ويذراهم في الأرض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأئماً بعد أمم ، حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية ، كما قدر ذلك تبارك وتعالى ، وكما أحصاهم وعدّهم عدّاً ثم يُقيم القيامة ويوفّي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ﴿أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ أي يقدر على ذلك أو إله مع الله يُعبد؟ وقد علم أن الله تعالى هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له؟ ﴿فَلَيْلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾ أي ما أقل تذكّركم لما يرشدكم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي يرشدكم في الليالي المظلمات إذا سافرتُم بالبر والبحر ، ويهديكم بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١) ثم قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجدين القانطين ﴿أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه الله تعالى نفسه عن شرك المشركين ، أصناماً لا تبدئ ولا تعيد ولا تخلق ولا ترزق ولا تعطي ولا تمنع .

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق حين أنشأهم من عدم ، ثم يعيدهم بعد موتهم ويبعثهم للحساب ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض ، فهو تبارك وتعالى الذي ينزل من السماء ماء مباركاً فيسلكه ينابيع في الأرض ، ثم يخرج به منها أنواع الزروع والشمار والأزهار وغير ذلك من ألوان شتى ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (٥٤) ولهذا قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ﴾ يتكرر السؤال في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ﴾ ليس المراد الاستفهام إنما هو أسلوب تأكيد ليؤكد لهم أن الله تعالى هو الخالق الرازق ولا يشاركه في هذا إله آخر ، فيسألهم هل هناك إله فعل هذا؟ والجواب : لا ، وإن قلتم هناك آلهة مع الله تعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على صحة ما تدّعونها أيها المشركون من عبادة آلهة أخرى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان وفي الآية تبكيت لهم وتهكم بهم .

هداية الآيات :

- ١- حمد الله وشكره عند تجدد النعم ، والحمد لله رأس الشكر .
- ٢- مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال - ﷺ - .
- ٣- التنديد بالشرك والمشركين .
- ٤- تقرير التوحيد بأدلته الباهرة العديدة .
- ٥- تقرير عقيدة البعث .
- ٦- ثبوت الأحكام لا يكون إلا بالأدلة النقلية والعقلية .

القيم المستفادة :

- حمد الله تعالى على نعمه .
- وحدانية الله تعالى .
- الإيمان بالبعث بعد الموت .



س ١ : سجّل الألفاظ القرآنية الدالة على المعاني التالية :

اللفظ	المعنى
	ثوابت
	فاصلاً
	يكفرون
	حجتكم

س ٢ : علل ما يلي :

١ - لجوء الإنسان إلى الله تعالى عند الشدائد :

.....
.....

٢ - ختم الآيات بقوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ :

.....
.....

س ٣ : بيّن نوع الأسلوب في الآيات التالية :

١ - ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

.....
٢ - ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

.....

س ٤ : استخراج قيمة من الآيات ومظهرين سلوكيين :

القيمة :

.....

المظاهر السلوكية :

.....

س ٥ : ماذا تتوقع أن يحدث لو أن الله تعالى أوجد الناس جميعاً في آن واحد؟

.....

.....

تمهيد :

الإيمان بالبعث والحشر ، وبالحساب والجزاء ، ركن عظيم في العقيدة لا يستقيم منهجها في الحياة إلا به ، فلا بد من عالم مرتقب يكمل فيه الجزاء ، ويتناسق فيه العمل والأجر ، ويتعلق به القلب ، وتحسب حسابه النفس ، ويقيم الإنسان نشاطه في هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك ، ولقد وقفت البشرية في أجيالها المختلفة ورسالاتها المتوالية موقفًا عجيبيًا من قضية البعث والدار الآخرة ، على بساطتها وضرورتها فكان أعجب ما تدهش له أن ينبئها رسول أن هناك بعثًا بعد الموت وحياة بعد الدثور ، فتناقش وتجادل في البعث كأن الأمر يستحيل على الله تعالى .

ولم تكن معجزة بدء الحياة الواقعة التي لا تنكر تلکم البشرية أن الحياة الأخرى أهون وأيسر ، ومن ثم كانت تعرض عن نذير الآخرة وتستمرئ الجحود والمعصية ، وتستطرد في الكفر والتكذيب .

والآخرة غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، وهم كانوا يطلبون تحديد موعدها أو يكذبوا بالنذر ، ويحسبونها أساطير سبق تكرارها ولم تحقق أبدًا ! فهنا يقرر أن الغيب من أمر الله وأن علمهم عن الآخرة منته محدود .

النص

قال تعالى :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٦٥) بَلِ أَدْرَكَ
عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا
وَأَبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
﴿ ٦٨ ﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي
ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٧٠) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ
لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٧٢)

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	الملائكة والناس .
الْغَيْبَ	ما غاب عنهم .
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ	متى يبعثون .
بَلِ أَدْرَكَ	تكامل أو تساوى .
عَمُونَ	عمي البصائر لا يدركون .
لَمُخْرَجُونَ	مبعوثون أحياء من قبورنا .
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	أي أكاذيبهم التي سَطَّروها في كتبهم .
عَاقِبَةُ	مآل ونهاية .
ضَيْقٍ	حرج وضيق صدر .
مِمَّا يَمْكُرُونَ	المكر هو صرف الغير عما يقصده بحيلة .
رَدِفَ لَكُمْ	تبعكم وجاء بعدكم .

الشرح الإجمالي للآيات :

اختصاص الله تعالى بعلم الغيب :

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

يقول الله تعالى أمراً رسوله - ﷺ - أن يقول للمشركين من قريش الذين سألوه عن وقت قيام الساعة ، أنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله ، والساعة من جملة الغيب بل أعظمه فلا يعلم وقتها إلا هو ، أما غيره فلا يعلم إلا ما علمه الله علام الغيوب ، وكان الخير في هذا الذي أراده الله تعالى ، فلو علم الله أن في كشف هذا الستر المسبل خيراً لكشفه للإنسان المتطلع بشدة إلى ما وراءه ! لقد منح الله هذا الإنسان من المواهب والاستعدادات والقوى والطاقات ما يحقق به الخلافة في الأرض ، وما ينهض به بهذا التكليف الضخم ، وانكشف ستر الغيب له ليس مما يعينه في هذه المهمة حتى يؤدي دوره كاملاً في عمارة هذه الأرض ، ويحقق وعد الله تعالى بخلافة الإنسان فيها .

وليس الإنسان وحده هو المحجوب عن غيب الله تعالى ، ولكن كل من في السماوات والأرض من خلق الله تعالى .

من ملائكة وجن وغيرهم ممن علمهم عند الله فكلهم موكلون بأمور لا تستدعي انكشاف ستر الغيب لهم ، فيبقي سره عند الله دون سواه .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فإنه المنفرد بذلك وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي وما يشعر الخلائق الساكنون في السماوات والأرض متى يبعث الأموات من قبورهم للحساب والجزاء ، فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقيناً ، ولا يشعرون به حين يقترب شعوراً وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُ - يَعْنِي النَّبِيَّ - ﷺ - مَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢) .

١- سورة الأنعام (٥٩) .

٢- رواه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٩) حديث ٢٨٧ .

قصور علم البشر:

﴿بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾

أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون ﴿بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ﴾ أي تساوى علمهم في ذلك كما في الحديث أن رسول الله - ﷺ - قال لجبريل - عليه السلام - وقد سأله عن وقت الساعة «ما الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»^(١) أي تساوى في العجز عن درك ذلك علم المسؤل والسائل ، وقيل أي بلغ حقيقته يوم القيامة إذ يصبح الإيمان بها الذي كان غيباً شهادة ولكن لا ينفع صاحبه يومئذ ، كما قال تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ عائد على الجنس والمراد الكافرون : أي شاكون في وجودها ووقعها فهم لا يرون شيئاً من دلائلها ولا حقائقها ، ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ أي في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها .

إنكار المشركين للبعث:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَآؤُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ﴾

يقول الله تعالى مخبراً عن منكري البعث من المشركين ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَآؤُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ﴾ ، أي مبعوثون من قبورنا أحياء وهذا استفهام يفيد الإنكار الشديد ويدل على أنهم لا يؤمنون بالساعة .

وهذه كانت العقدة التي يقف أمامها الذين كفروا دائماً : إذا فارقتنا الحياة ، ورمّت أجسادنا وتناثرت في القبور ، وصارت تراباً . . إذا وقع هذا لنا ولآبائنا الذين ماتوا قبلنا يمكن أن نُبعث أحياء كرة أخرى ، وأن نخرج من الأرض التي اختلط رفاتنا بترابها فصار تراباً؟ يقولون هذا وتقف هذه الصورة المادية بينهم وبين تصور الحياة الأخرى وينسون أنهم خلقوا أول مرة ولم يكونوا من قبل شيئاً ، فهل من العجب أن يُبعثوا مرة أخرى ؟

١- رواه مسلم كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة حديث (٥) .

٢- سورة مريم (٣٨) .

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

يقول المشركون بالبعث : لقد وَعَدْنَا هذا نحن وأبائنا من قبل ، أي من قبل أن يعدنا محمد ،
﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي أن هذا الوعد بالبعث والجزاء ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما هو إلا ما سطر الأولون
من الأكاذيب في كتبهم ، وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة .

فالمشركون كانوا يعرفون أن الرسل من قبل قد أنذروا آبائهم بالبعث والنشور ، مما يدل على
أن العرب لم تكن أذهانهم خالية من العقيدة ولا غفلاً من معانيها ، إنما كانوا يرون أن الوعود لم
تتحقق منذ بعيد فينبون على هذا استهتارهم بالوعد الجديد ، قائلين : إنها أساطير الأولين يرويها
محمد - ﷺ - ، غافلين أن للساعة موعدها الذي لا يتقدم لاستعجال البشر ولا يتأخر لرجائهم ،
إنما يجيء في الوقت المعلوم لله تعالى ، المجهول للعباد في السماوات والأرض سواء .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

يقول الله تعالى لنبه محمد - ﷺ - قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لما جئتهم به
من الأنباء من عند ربك ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ امشوا في الأرض جنوباً أو شمالاً
﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ فانظروا إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين لرسول الله ،
ومساكنهم كيف هي ألم يخربها الله ، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم ؟ فخلت منهم الديار ، فإن ذلك
كان عاقبة إجرامهم ، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم ، والله فاعل
ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم ، وفي هذا التوجيه توسيع لآفاق
تفكيرهم ، فالسير في الأرض يطلع النفوس على سير وأحوال فيها عبر للقلوب قد توقظها وتحييها ،
والقرآن يوجه الناس إلى البحث عن السنن ليعيشوا حياة متسعة الآفاق ، فالقادر على خلقهم ثم
إماتتهم قادر قطعاً على بعثهم وإحيائهم لمحاسبتهم وجزائهم بكسبهم ؛ فالبعث إذاً ضروري لا ينكره ذو
عقل راجح أبداً .

تسليية الله تعالى لرسوله - ﷺ - :

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾

وبعد أن يوجههم إلى التفكير بحال السابقين يأمر رسوله - ﷺ - أن يتركهم ، ويدعهم لمصيرهم الذي وجههم إلى نظائره ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ ، ينهى الله تعالى نبيه عن الحزن على المشركين لإدبارهم عنه وتكذيبهم له وعدم إيمانهم به . ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ كما نهاه عن ضيق صدره مما يمكرون ويكيدون له ولدعوة الحق التي يدعو إليها ، فإنهم لن يضروه شيئاً فقد أدى واجبه تجاههم وأبلغهم وبصرهم ، وإن الله ناصرهم عليهم ومهلكهم قتلاً بالسيف . وفي الآيات تسليية للرسول - ﷺ - .

نستخرج من هذه الآية لفظةً للدعاة إلى الله تعالى بأن عليهم الصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى ، وما يحف بها من متاعب وآلام ، تنوء بها الظهور ، وتضعف عن حملها الكواهل إلا من رحم الله . .

فالصبر كما قال الإمام علي رضي الله عنه : سيف لا ينبو ، ومطية لا تكبو ، وضياء لا يخبو . وهذا هو السر في اقتران التواصي بالصبر بالتواصي بالحق في سورة العصر : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾^(١) . فلا بقاء للحق بغير صبر .

وهو السر فيما ذكره الله على لسان لقمان الحكيم ، حيث وصى ابنه بالصبر على ما يصيبه من بلاء وأذى عقب وصيته له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال الله تعالى على لسانه : ﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٧﴾^(٢) .

١- سورة العصر (٢- ٣) .

٢- سورة لقمان (١٧) .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

يخبر الله تعالى - ﷻ - نبيه بقول المشركين كلما خُوفوا بمصائر المجرمين قبلهم ، ومصارعهم التي يمرون عليها مصبحين ، كقرى لوط - ﷺ - ، وآثار ثمود في الحجر ، وآثار عاد في الأحقاف ، ومساكن سبأ بعد سيل العرم ، فقد كانوا يقولون مستهزئين مستبعدةين وقوعه : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كان كلامكم صدق فيما تعدوننا به وفيما تقولون ، فهاتوه أو خبرونا بموعده على التحديد !

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾

وهنا يجيء الرد ليلقي ظلال الهول المتربص وظلال التهكم المنذر في كلمات قصار ، فيلقن الله تعالى رسوله الكريم الجواب ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي اقترب منكم ودنا حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون وهو ما حصل لهم في بدر من الأسر والقتل ، بذلك يثير في قلوبهم الخوف والقلق من شبح العذاب ، فقد يكون وراءهم - رديفاً لهم كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة - وهم لا يشعرون ، وهم في غفلتهم يستعجلون به وهو خلف رديف ! فيالها من مفاجأة ترتعش لها الأوصال وهم يستهزئون ويستهترون ! فما يدري أن الغيب المحجوب وأن الستار لمسبل فما يدري أحد فقد يكون على قيد خطوات ما يذهل وما يهول ! إنما العاقل من يحذر ومن يتهياً ويستعد في كل لحظة لما وراء الستر المسدول !

هداية الآيات :

- ١ - اختصاص الله تعالى بعلم الغيب فمن ادعى أنه يعلم ما في غد فقد كذب .
- ٢ - تساوي علم أهل السماء والأرض في الجهل بوقت قيام الساعة .
- ٣ - المكذبون بيوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لا ينفعهم ذلك .
- ٤ - إهلاك الله الأمم المكذبة بالبعث بعد خلقهم ورزقهم ، دليل على قدرته تعالى على بعثهم لحسابهم وجزائهم .

- ٥- تسلية الرسول ﷺ - لأنه يعاني شدة من ظلم المشركين وإعراضهم .
- ٦- بيان تعنت المشركين وعنادهم .
- ٧- تحقق وعد الله للمشركين حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون .
- ٨- الابتعاد عن الكهنة والعرافين والحذر منهم .

القيم المستفادة

- الإيمان بالبعث والحشر .
- الاعتبار بقصص الأمم السابقة .
- الاستعداد ليوم القيامة .



س ١ : فسر ما يلي من الآيات :

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ :

.....

.....

.....

.....

﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ :

.....

.....

.....

.....

س ٢ : بين القراءات في قوله تعالى ﴿بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمُ فِي الْآخِرَةِ﴾ :

.....

.....

.....

.....

س ٣ : علّل ما يلي :

١ - تسليّة الله تعالى لرسوله - ﷺ - بالآيات :

.....

.....

.....

.....

٢ - أمر الله تعالى للمشرّكين بالتأمل بعاقبة المشرّكين قبلهم :

.....

.....

.....

.....

س ٤ : ما نوع الاستفهام في قوله تعالى ﴿أَءَاكُفًا تَرَبَّاءُ أَبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ ؟

.....

.....

س ٥ : اختر المكمل الصحيح لتكملة العبارات التالية بوضع خط تحته :

١ - المراد من قول الله تعالى ﴿بَلْ أَدْرَاكَ﴾ :

- دري بالأمر وعلم به .

- تكامل أو تساوي .

- فهم وإدراك مراده .

٢ - في الآيات الكريمة تسلية للرسول - ﷺ - لأنه :

- حزين لتأخر الوحي .

- فقد عمه أبو طالب .

- يعاني شدة من ظلم المشركين وإعراضهم .

التمهيد :

ما زال سياق الآيات في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث ، وقد تقدم تقرير كل من عقيدة التوحيد بأدلة لا تُرد ، وكذا تقرير عقيدة البعث ، وهنا تبين الآيات فضل الله تعالى على عباده لأنه العليم بما في قلوبهم ، فقد بعث رسوله بدين الحق ليهديهم إلى الصراط المستقيم والجزاء ، ولكن المشركين ما زالوا يعارضون ويمنعون .

النص

قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤ وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٧٥ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٧٨ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۝٧٩ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ۝٨١ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ	ما تخفيه وتستتره صدورهم .
غَابِئَةٍ	شيء يغيب ويخفى عن الخلق .
فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ	اللوحة المحفوظة مدونة فيه مكتوبة .
يَقْضَى	يحكم .
الْغَزِيرُ	الغالب على أمره .
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ	ثق به وفوض أمرك إليه .
الْمُبِينِ	الواضح والظاهر .
وَلَوْ أَمْدَدِينَا	رجعوا غير ملتفتين إليك .

الشرح الإجمالي للآيات :

فضل الله تعالى على عباده :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ يقول الله تعالى وإن ربك يا نبينا لذو فضل على الناس مؤمنهم وكافرهم ، في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة رغم معصيتهم إياه وكفرهم به ، ولكن يمهلهم عسى أن يتوبوا إليه ويرجعوا إلى الطريق المستقيم وهذا أعظم فضل ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ولكن أكثرهم مقصرين فلا يشكرونه على إحسانه وفضله عليهم فيخلصوا له العبادة ، ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عليهم ولا إحسان .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

الله تعالى يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر

به فلا يخفى عليه من أمرهم شيء ، وسيحصى لهم أعمالهم ويجزيهم بها ، فهو - ﷻ - يمهّلهم ويؤخر العذاب عنهم مع علمه بما تكنه صدورهم وما تعلنه ألسنتهم وأفعالهم فهو الإمهال عن علم ، والإمهال عن فضل ، وفي هذا تسليّة لرسول الله - ﷺ - ووعد لهم وتهديد .

اللوّح المحفوظ :

﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

يخبر الله تعالى في هذه الآيات بأنه يعلم غيب السماوات والأرض ، الغيب هو ما غاب عن العباد فيقول - ﷻ - : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ ﴾ وما من شيء ﴿ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ أي إن علم ربك أحاط بكل شيء ولا يعزب عنه شيء ، وهذا مظهر من مظاهر العلم الإلهي المستلزم للبعث والجزاء ، إذ لو قل علمه بالخلق لكان من الجائز أن يترك بعضاً لا يبعثهم ولا يحاسبهم ولا يجزيهم ، والآيات تقرر علم الله تعالى الشامل الكامل ، الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

يقول الله تعالى مخبراً عن كتابه العزيز إنه بما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان يقص على بني إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل المعاصرون لنزوله ﴿ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، كاختلافهم في عيسى - ﷺ - وتباينهم فيه ، فاليهود افتروا والنصارى غلوا ، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله تعالى وأنبيائه ورسله الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وهذا القرآن المهيم على الكتب التي قبله يفصل في خلافات القوم ، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه فهو الحكم الفصل بين المتجادلين .

القرآن هداية للناس :

﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

وقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ﴾ إن القرآن الكريم لهدى ، أي لهادٍ لمن آمن به إلى سبيل السلام فيقيهم من الاختلاف والضلال ، ويوحد المنهج ، ويعين على الطريق ، ﴿وَرَحْمَةً﴾ شاملة فهو يرحمهم من الشك والقلق والحيرة والتخبط ، ويصلهم بالله تعالى ؛ فيطمئنون إلى جواره ويسكنون إلى كنفه ويتتهون إلى رضوانه وثوابه الجزيل .

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أن هذا القرآن جاء رحمة للمؤمنين به ، العاملين بما فيه من الشرائع والآداب والأخلاق ، وخص المؤمنين بالذكر دون الكافرين لأنهم هم المتفعون به .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ يحكم بين الناس من وثنيين وأهل كتاب يوم القيامة بحكمه العادل الرحيم ، وقيل يقضي بين بني إسرائيل بما يحكم به من الحق ، فيجازي الحق ويعاقب المبطل ، وقيل يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرفوه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب الذي ينفذ حكمه فيمن حكم له أو عليه ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم وعليم بالمحققين من المبطلين من عباده ، فلذا يكون حكمه أعدل وأرحم وهذا سر ختام الآية بالعزیز العليم .

تسلية الله تعالى لرسوله محمد - ﷺ - :

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أيها الرسول الكريم بالثقة به وتفويض أمرك إليه ، فإنه كافيك وناصرك في جميع أمورك وبلغ رسالة ربك ، الفاء في قوله ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ تفرعية أي فبناء على عزة الله وعلمه فتوكل عليه ولا تخف ، فإنه لعزته وعلمه لا يضيعك ولا يهمل شأنك ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي إنك يا رسولنا على الدين الحق الذي هو الإسلام ، الظاهر في كونه حقاً لا ينبغي أن يُشك فيه بوجه من الوجوه ، وخصوصك على الباطل فالعاقبة الحسنى لك لا محالة ، وإن خالفك من

خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة فقد جعل الله انتصار الحق سنة كونية كخلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، لكنها قد تبطئ لحكمة يعلمها الله تعالى . ويمضي في تسليّة الرسول - ﷺ - وتأسيسه على جموح القوم ولجاجهم في العناد وإصرارهم على الكفر بعد الجهد الشاق في النصح والبيان ، وبعد مخاطبتهم بهذا القرآن ، فهو لم يقصر في دعوته . ولكنه إنما يسمع أحياء القلوب الذين تعي آذانهم فتتحرك قلوبهم ، فيقبلون على النصح الأمين . فأما الذين ماتت قلوبهم ، وعميت أبصارهم عن دلائل الهدى والإيمان ، فما له فيهم حيلة ، وليس له إلى قلوبهم سبيل ولا ضمير عليه في ضلالهم .

مقارنة بين المؤمن والكافر :

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ ﴾ شبه الكفار بالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وبالصم أيضاً لأنهم لا يسمعون المواعظ ولا يجيبون الدعاء إلى الله تعالى ، فهم موتى بعدم وجود روح الإيمان في أجسامهم ، والميت لا يسمع لذا لا تقدر على إسماع هؤلاء الكافرين الأموات ، كما إنك لا تقدر على إسماع كلامك للصم الذين فقدوا حاسة السمع ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ إذا رجعوا مدبرين غير ملتفتين إليك معرضين عن الحق إعراضاً تاماً ، فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلاً فكيف إذا كان معرضاً ، والتعبير القرآني البديع يرسم صورة جمود القلب وخمود الروح ، فالرسول - ﷺ - يدعوهم وهم كالموتى لا يستجيبون لما يدعوهم إليه ومقابل ذلك المؤمنون فهم أحياء يستجيبون له

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾ ما أنت بمرشد من أعماه الله تعالى عن الحق إرشاداً يوصله إلى المطلوب منه وهو الإيمان ، وليس في وسعك إخراجهم من الضلال والضياع الذي يعيشون فيه فهون على نفسك ولا تكرب ولا تحزن ﴿ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ ما تسمع إلا من يصدق بالقرآن لا من يكفر به والمراد هنا إسماع تفهم وقبول ، ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وعلة سماع هؤلاء المؤمنين أنهم بسبب إيمانهم منقادون مخلصون خاضعون لشرع الله تعالى وأحكامه .

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل الله تعالى على الناس مع ترك أكثرهم لشكره - ﷻ .
- ٢- بيان إحاطة علم الله تعالى بكل شيء .
- ٣- إثبات وتقرير كتاب المقادير ، وهو اللوح المحفوظ .
- ٤- شرف القرآن وفضله .
- ٥- لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلا بالإسلام فإذا أسلموا اهتدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم .
- ٦- كل خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله تعالى بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل .
- ٧- الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان فلذا هم لا يسمعون الهدى ولا يبصرون الآيات .

القيم المستفادة :

- حب القرآن الكريم .
- بغض الشرك .
- التوكل على الله تعالى .



س ١ : قال تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ لمن وجه الخطاب في الآية السابقة؟ وما فضل الله تعالى على الناس؟

.....

.....

.....

.....

س ٢ : استخرج من النص الآية التي تقرر علم الله تعالى الشامل الكامل :

.....

.....

.....

.....

س ٣ : فسّر قوله تعالى ﴿أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ :

.....

.....

.....

.....

س ٤ : لم خصّ المؤمنين في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؟

.....

.....

.....

.....

س ٥ : بين نوع الفاء في قوله تعالى ﴿ فَتَوَكَّلْ ﴾ :

.....

.....

.....

.....

س ٦ : قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الضُّمَمَ الدُّعَاءَ ﴾ بم شبه الله الكفار بالآية ؟ مع بيان وجه الشبه :

.....

.....

.....

.....

س ٧ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١ - عدم معالجة الله تعالى كفار قريش بالعقوبة إمهالاً لهم . ()
- ٢ - المقصود باللوح المحفوظ القرآن الكريم . ()
- ٣ - بني إسرائيل هم حملة القرآن الكريم . ()
- ٤ - ينتهي خلاف اليهود والنصارى بالإسلام . ()

من أهوال يوم القيامة (١)

سورة النمل الآيات من (٨٢ - ٨٦)

التمهيد :

المتأمل لمشاهد سورة النمل يجد القدرة الإلهية العظيمة ، ففيها مشاهد حوار وأحاديث بين طائفة من الحشرات والطيور والجن وسليمان - عليه السلام - ، ثم يأتي في هذه الآيات ذكر الدابة وتكليمها الناس متناسقاً مع مشاهد السورة ، محققاً لتناسق التصوير في القرآن وتوحيد الجزئيات التي يتألف منها المشهد العام ، وخروج الدابة من علامات الساعة الكبرى ، فإنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقي فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هم عليه ، عندئذ يخرج الله تعالى لهم دابة تكلمهم ، والدواب لا تتكلم أولاً يفهم عنها الناس ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة ، وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود ، ثم ينتقل السياق إلى مشهد الحشر الذي لا يعتبر به إلا المؤمنون الصادقون .

النص

قال تعالى :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٨٢) وَيَوْمَ نَخَشُّهُم مِّن كُلِّ امَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهُ قَالَ أكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِ كُنُوزِهِمْ فِي ذَلِكِ لَايَتَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ	أي حق ووجب عليهم العذاب .
دَابَّةً	الدابة لغةً : اسم لما دب من الحيوان .
تَكَلَّمُهمْ	تخبرهم .
لَا يُوقِنُونَ	لا يؤمنون بآيات الله وشرائعه أي كفروا فَيُبلون بهذه الدابة .
نَحْشُرُ	نجمع .
فَوْجًا	طائفة وهم الرؤساء المتبعون في الدنيا .
فَهُمْ يُوزَعُونَ	يجمعون بِرَدٍّ أولهم على آخرهم .
فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ	لا حجة لهم وليس لهم عذر ينطقون به .
لِيَسْكُنُوا فِيهِ	للسكون والاستقرار والنوم .
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا	يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال .

الشرح الإجمالي للآيات :

علامات الساعة الكبرى :

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

عند اقتراب الساعة وما فيها من عظيم الأهوال التي كانوا يستعجلونها يقول الله تعالى :
 ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي إذا حق العذاب على الكافرين حيث لم يبق في الأرض من يأمر بمعروف
 ولا من ينهى عن منكر ، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾ نخرج لهم في آخر الزمان علامة من علامات الساعة
 الكبرى لفتنتهم ، وهي ﴿دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ والدابة حيوان أرضي ليس بسماوي ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾ أي
 تحدثهم بلسان يفهمونه وتخبرهم أن فلاناً مؤمن وفلاناً كافر ، قال ابن عباس وغيره ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾

بسكون الكاف أي تجرحهم ، بمعنى تكتب على جبين الكافر كافرًا ، وعلى جبين المؤمن مؤمنًا وروي عنه أيضًا بمعنى تخاطبهم .

قال الحافظ ابن كثير : هذه الدابة تُخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ هذه علة تكليمهم وهي أن الناس كفروا وما أصبحوا يوقنون بآيات الله وشرائعه فيخرج الله تعالى هذه الدابة لحكم منها : أن بها يتميز المؤمن من الكافر .

تتمة نافعة :

أشراط الساعة الكبرى :

أولاً: خروج المهدي^(١) :

من علامات الساعة وأماراتها الكبرى ظهور المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، يلي أمر هذه الأمة ويحدد لها دينها ، وهو رجل يحكم بالإسلام ويملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً ، تنعم الأمة في عهده بالخيرات والنعم التي لم تنعم بمثلها قط ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : في زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزرع غزيرة ، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم .

ثانياً: فتنة المسيح الدجال :

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه ؟ إنه أعور ، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار ، فالتي يقول إنها الجنة هي النار ، وإنني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»^(٢) .

وسمي الدجال دجالاً ؛ لأنه يغطي الحق بباطله ، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم ، ويخرج قبيل قيام الساعة في زمن المهدي وعيسى - عليهما السلام - .

١- قال بعض أهل العلم أن خروجه من العلامات الصغرى .

٢- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/ ٢٢٥٠) .

وخروجه من الأشرط العظيمة المؤذنة بقيام الساعة ، وفتنته من أعظم الفتن والحن التي تمر على الناس ، ويسمى مسيحًا ؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة أو لأنه يمسخ الأرض في أربعين يومًا .

ثالثًا: نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - :

من أمارات الساعة العظام وأشرطها الكبار نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - آخر الزمان من السماء ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أنه ينزل قبل قيام الساعة فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويحكم بالقسط ويقضي بشريعة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ويحيي من شأنها ما تركه الناس ، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن .

وأما الأدلة من السنة المطهرة على نزوله منها : حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، لا يقبلها من كافر ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها» .^(١) ومن الأمور التي تحدث في زمن عيسى - عليه السلام - :

١ - قتل المسيح الدجال .

٢ - هلاك يأجوج ومأجوج .

٣ - القضاء على كل الشرائع والحكم بالإسلام .

٤ - رفع الشحناء والتباغض من بين الناس ، وانتشار الأمن والرخاء بين الخلق .

رابعًا: خروج يأجوج ومأجوج :

من علامات الساعة الكبرى التي أخبر بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - خروج يأجوج ومأجوج ومما يدل عليه حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان - رضي الله عنها - ، عن زينب بنت جحش - رضي الله عنها - : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يومًا فرعًا يقول : «لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها ، قالت زينب بنت جحش : فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث»^(٢) .

١- صحيح مسلم كتاب الإيمان (١/١٣٥) ، صحيح البخاري كتاب الانبياء (٤/١٤٣) .

٢- صحيح البخاري - الفتن (٦/٦٧١) ، صحيح مسلم - الفتن وأشرط الساعة (٢٨٨٠) .

خامسًا : طلوع الشمس من مغربها :

ومن الأحاديث على ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
« لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ،
فذلك حيث لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا » . (١)

سادسًا : خروج الدابة :

من أشراط الساعة الكبرى خروج دابة من الأرض في آخر الزمان تكلم الناس وتسميهم مؤمنًا وكافرًا ، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى ومن أدلة ذلك حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال : حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثًا لم أنسه بعد ، سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريبًا » . (٢)

ويتلخص عمل الدابة في الأمور التالية :

- أنها دابة تكلم الناس .
- أنها تسم المؤمن بعلامة وتجلو وجهه حتى ينير .
- أنها تسم الكافر بعلامة قيل : هي خطم الأنف .
- قال ابن الأثير : يعني تصيبه فتجعل له أثرًا مثل أثر الخطام .

سابعًا : الدخان الذي يكون في آخر الزمان :

وقد ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « بادروا بالأعمال ستًا : طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال . . . » . (٣)

١- صحيح البخاري - الفتن (٦٧٠٤) ، صحيح مسلم رواه مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤١) - الإيمان (١٥٧) .

٤- رواه مسلم - كتاب الفتن - وأشراط الساعة (٢٩٤١) .

٣- رواه مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٧) .

ثامناً : الخسوفات الثلاثة :

وقد ورد فيها حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب ، قلت : يا رسول الله أيخسف بالأرض وفيها الصالحون ؟ قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إذا أكثر أهلها الخبث»^(١)

تاسعاً : النار التي تحشر الناس :

آخر الآيات الكبرى والعلامات العظمى لأشراط الساعة وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة خروج نار تحشر الناس إلى محشرهم ، ومن الأحاديث التي وردت فيها : حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة قوله - صلى الله عليه وسلم - : «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»^(٢)

سوق المكذبين للحساب :

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

يقول الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة ومبيناً لطرف من أهوالها ، وهو حشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله بين يديه عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا ، وهذا السؤال تقرير وتوبيخ وتحقير لهم ، فيقول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ أي يوم يجمع الله تعالى من كل قوم وقرن فوجاً أي جماعة كثيرة مكذبة بآياتنا وهم الرؤساء والقادة كما قال تعالى : ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(٣) ، وقوله تعالى ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ بأن يرد أولهم على آخرهم لينتظم سيرهم قال ابن عباس رضي الله عنه : يدفعون وقيل يساقون .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمَّا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾ ووقفوا بين يدي الله - عز وجل - في مقام المسائلة والحساب فيُسئلون عن اعتقادهم وأعمالهم ، ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ قال الله تعالى لهم أكذبتُم بآياتي التي أنزلتها على

١- رواه مسلم- كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) .

٢- رواه مسلم- كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) .

٣- سورة الصافات (٢٢) .

رسلي وأمرتهم بإبلاغها إليكم ، ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ بل كذبت بها قبل التصور الصحيح لها ومعرفة معانيها ودلالاتها وهذا تقريع لهم وتوبيخ ، إذ كون الإنسان لم يحط علماً بشيء لا يجوز له أن يكذب به لمجرد أنه لم يعرفه ، ﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ما الذي كنتم تعملون في آياتي من تصديق وتكذيب وما الذي شغلكم عن النظر فيها والتفكير في معانيها ، فَحِينَئِذٍ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُذْرٌ يَعْتَذِرُونَ بِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ (١) .

استحقاق العذاب :

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾

بعد سؤال الله تعالى لهم وعجزهم عن الرد بُهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وجب القول عليهم بإنزال العقوبة ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي بسبب ظلمهم وأعظم أنواع الظلم هو الشرك بالله تعالى ، ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي بعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم لأنهم ظلمة مشركون . وهم واجمون صامتون ! ذلك حين نطقت الدابة قبيل ذلك وها هم الناس لا ينطقون ! وذلك من بدائع التقابل في التعبير القرآني ، وفي آيات الله التي يعبر عنها هذا القرآن .

آيتا الليل والنهار :

﴿الْمَرِيرَ أَنَّا جَعَلْنَا أَلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

بعد أن خوفهم الله تعالى بأهوال يوم القيامة ، ذكر - ﷺ - ما يصلح أن يكون دليلاً على التوحيد والحشر ، فقال تعالى منبهاً على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع ، مما يستوجب طاعته والانقياد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا محيد عنه ﴿الْمَرِيرَ﴾ أي ألم يبصر أولئك المشركون المكذبون بالبعث والجزاء أن الله تعالى جعل ﴿أَلِيلَ

لَيْسَ كُنُوزًا فِيهِ ﴿ اللَّيْلُ ظُلَامًا لِّتَسْكُنَ حَرَكَاتُهُمْ بِسَبَبِهِ وَتَهْدَأُ أَنْفُسُهُمْ وَيَسْتَرِيحُونَ مِنْ نَصَبِ التَّعَبِ فِي نَهَارِهِمْ ، **وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا** ﴿ أي منيرًا مشرقًا فبسبب ذلك يتصرفون في المعاش والمكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها ، ووصف النهار بالإبصار وهو وصف للناس مبالغاً في إضاءته كأنه يبصر ما فيه ، ونستدل من هذه الآية على عقيدة البعث والجزاء فنوم الليل شبيه بالموت ، وانبعاث النهار شبيه بالحياة ، فهي عملية موت وحياة متكررة طوال الدهر فكيف ينكر العقلاء البعث الآخر وله صورة متكررة طوال الحياة ، ولذا قال تعالى : **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ** ﴿ في ذلك العمل المتكرر للموت والحياة كل يوم وليلة **لَآيَاتٍ** ﴿ أي براهين وحجج قاطعة على وجود بعث وحياة بعد هذا الموت ، **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴿ يصدقون بآيات الله وكتابه ؛ وخص المؤمنين بالذكر وبالحصول على البرهان المطلوب من عملية الليل والنهار ؛ لأن المؤمنين أحياء يسمعون ويبصرون ويفكرون ، والكافرين ، أموات والميت لا يسمع ولا يبصر ولا يعي ولا يفكر .

من هداية الآيات :

- ١- تأكيد آية الدابة التي تخرج آخر الزمان .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٣- الويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤتى بهم ويسألون .
- ٤- في آية الليل والنهار ما يدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء .

القيم المستفادة :

- الاعتقاد بخروج الدابة .
- الإيمان بالبعث والجزاء .
- الاعتبار بتعاقب الليل والنهار .



س ١ : بَيِّنْ نوع الأسلوب في قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾

.....

.....

س ٢ : قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ خص الله تعالى المؤمنين بالذكر في ختام الآيات . بم تعلق ذلك ؟

.....

.....

.....

.....

س ٣ : صف مشهد مساءلة الله تعالى للمكذبين بآياته من خلال دراستك للنص :

.....

.....

.....

.....

س ٤ : بِمَ استحق المشركون العذاب ؟

.....

.....

.....

.....

س ٥ : لِمَ عَبَّرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ عِنْدَ جَمْعِهِمُ لِلْحِسَابِ وَالْمُسَاءَلَةِ؟

.....

.....

.....

.....

من أهوال يوم القيامة (٢)

سورة النمل الآيات من (٨٧ - ٩٠)

التمهيد :

ينتقل سياق الآيات من آتي الليل والنهار في الأرض وحياتهم الآمنة المكفولة في ظل هذا النظام الكوني الدقيق ، ليعبر بهم في ومضة إلى يوم النفخ في الصور ، وما فيه من فزع يشمل السماوات والأرض ومن فيهن من الخلائق إلا من شاء الله ، وما فيه من تسيير للجبال الرواسي التي كانت علامة الاستقرار ، وما ينتهي إليه هذا اليوم من ثواب بالأمن والخير ، ومن عقاب بالفزع والكب في النار .

النص

قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ ﴾
 (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
الصُّور	قرن ينفخ فيه إسرافيل .
دَخِرِينَ	أذلاء صاغرين مستسلمين .
فَفَزَعَ	خاف وانزعج .
تَحْسَبُهَا جَامِدَةً	تظنها في نظر العين قائمة أي ساكنة .
أَنْقَنَ	أوثق صنعه وأحكمه .
خَيْرٍ	المطلع على الظواهر والضمائر .
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ	وهي الإيمان والتوحيد وسائر الصالحات .
فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّهَا	الجنة .
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ	الشرك والمعاصي .
فَكُتِبَتْ وُجُوهُهُمْ	القوا في النار على وجوههم .
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	ما تجزون إلا جزاء عملكم السيء .

الشرح الإجمالي للآيات :

فزع الخلائق من نفخة الصور :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَخِرِينَ ﴾

ما زال السياق في ذكر أحداث القيامة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي هي الباعث على الاستقامة في الحياة . فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ ونفخ إسرافيل بإذن ربه في الصور الذي هو القرن أو البوق ونحن نؤمن بالصور ونفوض علم حقيقته إلى علام الغيوب ، ﴿ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ وهي نفخة الفزع فتخاف الخلائق كلها

إلا من استثنى الله تعالى أن يأمن ويستقر وقيل هم الشهداء فلا يفزعون ، وهي نفخة الفناء أيضاً إذ بها يفنى كل شيء في السماوات والأرض ، ثم تكون نفخة البعث ، ثم نفخة المحشر وفي هذه يحشر الجميع ، وللفرع معنيان الأول : بمعنى الإسراع لنداء الداعي والثاني الخوف والهلع ، وقوله تعالى : ﴿وَكُلُّ أُنُوتُهُ﴾ أي أتوا الله تعالى ، قرأ حفص (وكل أتوه) بالفعل الماضي وقرأ نافع (أتوه) باسم الفاعل أي : أتون إليه جمع أت . ﴿دَخِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين مستسلمين أتوه إلى المحشر وساحة فصل القضاء .

الجمال الرواسي تسير :

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

يُصاحِبُ الْفَرْعَ الْإِنْقِلَابُ الْكَوْنِي الْعَامُ الَّذِي تَخْتَلُ فِيهِ الْأَفْلَاكُ وَتَضْطَرِبُ دَوْرَتُهَا ، وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا الْاضْطِرَابِ أَنْ تَسِيرَ الْجِبَالُ الرَّاسِيَّةُ وَتَمُرُّ كَأَنَّهَا السَّحَابُ فِي خَفَتِهِ وَسُرْعَتِهِ وَتَنَاقُضِهِ ، وَمَشْهَدُ الْجِبَالِ هَكَذَا يَتَنَاسَقُ مَعَ ظِلِّ الْفَرْعِ وَيَتَجَلَّى الْفَرْعُ فِيهِ ، وَكَأَنَّمَا الْجِبَالُ مَذْعُورَةٌ مَعَ الْمَذْعُورِينَ مَفْزُوعَةٌ مَعَ الْمَفْزُوعِينَ هَائِمَةٌ مَعَ الْهَائِمِينَ الْحَائِرِينَ الْمُنْطَلِقِينَ بِلا وَجْهَةٍ وَلَا قَرَارٍ ! فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أَيُّ تَرَاهَا كَأَنَّهَا ثَابِتَةٌ بِأَقْيَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ أَيُّ تَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝١﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ۝١﴾^(١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أَيُّ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ ﴿الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أَيُّ أَنْقَنَ كُلَّ مَا خَلَقَ وَأَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا أَوْدَعَ ، - ﷻ - ! يَتَجَلَّى إِتْقَانُ صُنْعِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ . فَلَا فِلْتَةَ وَلَا مَصَادِفَةَ ، وَلَا ثَغْرَةَ وَلَا نَقْصَ ، وَلَا تَفَاوُتَ وَلَا نَسْيَانَ . وَيَتَدَبَّرُ الْمَتَدَبِّرُ كُلَّ آثَارِ الصَّنِيعَةِ الْمَعْجِزَةِ ، فَلَا يَعْثُرُ عَلَى خَلَّةٍ وَاحِدَةٍ مَتْرُوكَةٍ بِلا تَقْدِيرٍ وَلَا حِسَابٍ ، فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَالْجَلِيلِ وَالْحَقِيرِ . فَكُلُّ شَيْءٍ بِتَدْبِيرٍ وَتَقْدِيرٍ ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أَيُّ هُوَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ عِبَادَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ .

ثواب وعقاب :

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾

يوم القيامة يوم قدره الله الذي أتقن كل شيء وجاء به في موعده ، لا يستقدم ساعة ولا يستأخر ليؤدي دوره في سنة الخلق عن حكمة وتدبير ، وليحقق التناسق بين العمل والجزاء في الحياتين المتصلتين المتكاملتين ، في هذا اليوم المفزع الرهيب يكون الأمن والطمأنينة من الفزع جزاء الذين أحسنوا في الحياة الدنيا ، فوق ما ينالهم من ثواب هو أجزل من حسناتهم وأوفر فيقول الله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ألا وهي الجنة ﴿وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ والأمن من هذا الفزع هو وحده جزاء وما بعده فضل من الله تعالى ومنة ، ولقد خافوا الله تعالى في الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفزع الآخرة بل أمنهم يوم يفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله .

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

في هذه الآيات تصوير لمشهد مفزع وهم يكبون في النار على وجوههم ، ذلك لأن من الناس من يلقي الله تعالى مُسيئًا لا حسنَةً لَهُ أَوْ قَدْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتِهِ عَلَى حَسَنَاتِهِ كُلٌّ بِحَسَبِهِ فيقول الله تعالى عنهم : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ وهي الشرك والمعاصي كأكل الربا وقتل النفس وغيرها ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ فذلك جزاؤه ، ويزيد عليهم التبكيت والتوبيخ ! عندما يسألهم : ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الاستفهام هنا للنفي أي لا تجزون إلا على عملكم في الدنيا من خير وشر وقد تم الجزاء بمقتضى ذلك فقوم دخلوا الجنة وآخرون كبت وجوههم في النار ، لأنهم في الحياة الدنيا تنكبوا الهدى وأشاحوا عنه بوجوههم فهم يجزون به كِبًا في النار لهذه الوجوه التي أعرضت من قبل عن الحق الواضح وضوح الليل والنهار .

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلة .
- ٢- بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان .
- ٣- فضل الشهداء حيث لا يحزنهم الفزع الأكبر وهم آمنون .
- ٤- تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنة والسيئة ، حسنة التوحيد وسيئة الشرك .

القيم المستفادة :

- التصديق بالبعث .
- طاعة الله تعالى .
- إصلاح العمل .

التقويم

س ١ : أكمل الجدول التالي بما يناسبه :

معناها	الكلمة
	دَخِرِينَ
خاف وأنزعج	
القوا في النار على وجوههم	
	الصُّورِ

س ٢ : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۚ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۚ﴾ استخرج من الآيات ما يتوافق مع الآية السابقة :

.....

.....

س ٣ : تقرر الآيات مبدأ الجزاء العادل . اشرح العبارة السابقة على ضوء فهمك للآيات :

.....

.....

س ٤ : قال تعالى ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ بين حال الخلائق عندما ينفخ إسرافيل بالصور :

.....

.....

س ٥ : ما نوع الاستفهام في قوله تعالى ﴿هَلْ تُحْزَنُونَ﴾؟

.....

.....

التمهيد :

في نهاية السورة يبين الرسول - ﷺ - دعوته ومنهجه في الدعوة ، ويكلهم إلى مصيرهم الذي يرتضونه لأنفسهم بعد ما مضى من بيان ، ويختتم بحمد الله كما بدأ ، ويدعهم إلى الله يكشف لهم آياته ويحاسبهم على ما يعملون .

النص

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩١ ﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٩٣ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
الْبَلَدَةِ	مكة المكرمة .
الَّذِي حَرَّمَهَا	جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصطاد صيدها .
مِنَ الْمُسْلِمِينَ	من المؤمنين المنقادين له ظاهراً وباطناً .
أَتْلُوا الْقُرْآنَ	أقرأ القرآن .
ضَلَّ	أعرض .

الشرح الإجمالي للآيات :

رب هذا البيت :

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

بعد ذلك العرض الهائل لأحداث القيامة والذي ينبغي لكل من تدبره أن يؤمن به ، ولكن القوم ما استجابوا وتمادوا في كفرهم ، من هنا ناسب بيان موقف الرسول - ﷺ - وهو أنه عبد مأمور بعبادة ربه فيقول تعالى مُخْبِرًا رَسُولَهُ - ﷺ - وَأَمِرًا لَهُ أَنْ يَقُولَ ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ فيعلن أنه مأمور أن يعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها ، فلا يُقاتل فيها ولا يُصَاد صيدها ولا يُختلَى خلاها ولا تُلتقط لقطتها إلا لمن يُعرّفها ، وهم كانوا يدينون بحرمة البلدة الحرام والبيت الحرام ، وكانوا يستمدون سيادتهم على العرب من عقيدة تحريم البيت الذي حرّمه وأقام حياتهم كلها عليه ، ثم لا يوحّدون الله تعالى الذي له كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً فليس لغيره معه شيء وأضاف الله تعالى الربوبية إلى البلدة على سبيل التّشريف لها وَالِاعْتِنَاءُ بِهَا كما قال تعالى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ صارت حراماً شرعاً وقدرًا بتحريمه لها ، فلا يُسْفَك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يُصطاد صيدها وقوله تعالى ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ من باب عطف العام على الخاص أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ، ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وأمرني ربي أن أكون في جملة المسلمين الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له وهم صالحو عباده من الأنبياء والمرسلين .

من وسائل الدعوة :

﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾

﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ وأمرني ربي أن أبلغهم القرآن وأن أتلوه على الناس تلاوة إنذارٍ وتعليمٍ وتعبدٍ وتقربٍ إليه ، وبعد تلاوتي ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ من اهتدى فعرف طريق الهدى وسلكه فتتأج الهداية عائد عليه لأنه هو الذي ينتفع بها ، ومن ضل ولم يقبل الهدى وأقام على ضلالتة فليس عليّ هدايته لأن ربي قال لي : قل لمن ضل ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أنا لست من واهبي الإيمان والهداية ، إنما يهب الهداية ويمنّ بها هو الله الذي بيده كل شيء ، ولي أسوة بالرسل الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وحساب أمهم على الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(١) وفي هذا تتمثل فردية التبعة في ميزان الله فالإنسان يختار بمفرده الطريق الذي يريده ولا يجبر على الإسلام ، فمن لم يسلم عليه الإلتزام بأحكام الإسلام مع غير المسلمين فيما يختص بالهدى والضلال . وفي فردية التبعة تتمثل كرامة هذا الإنسان التي يضمنها الإسلام ، فلا يساق سوق القطيع إلى الإيمان إنما هي تلاوة القرآن وتركه يعمل عمله في النفوس وفق منهجه الدقيق العميق ، الذي يخاطب الفطرة في أعماقها وفق ناموسها المتسق مع منهج القرآن .

وهذه الآيات بينت وسيلة هذه الدعوة ألا وهي تلاوة القرآن ، فالقرآن هو كتاب هذه الدعوة ودستورها ووسيلتها أمر أن يجاهد به ، وفيه ما يزلزل القلوب القاسية ويهزها هزاً لعلها تهتدي وتسلك طريق الحق .

الله - ﷻ - شهيد على كل شيء :

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقل يانينا وعلم أمتك ذلك أن تحمد الله تعالى على كل ما وهبك من نعم لا تعد ولا تحصى ، ومن أجلها إكرامه لك بالرسالة التي شرفك بها على سائر الناس ، فالحمد لله الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والإنذار إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾

١- سورة الرعد (٤٠) .

فَنَعْرِفُونَهَا ﴿١٨١﴾ وأخبر هؤلاء المشركين أن الله ربي سيريكُم آياته في مستقبل أيامكم ، وقد أراهم أول آية في بدر وثاني آية في الفتح وآخر آية عند الموت يوم تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وتقول لهم : **﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾** ^(١) وقوله تعالى : **﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** أسلوب ترهيب وتهديد أي وما ربك الذي أكرمك وفضلك أيها الرسول بغافل ، بل هو شهيد على كل شيء وليس بغافل عما تعملون أيها الناس مؤمنين وكافرين وصالحين وفاسدين ، وسيجزى كلًّا بعمله وذلك يوم ترجعون إليه ، ففي الآية وعد ووعد .

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن وظيفة الرسول - ﷺ - الدعوة إلى عبادة الله تعالى والإسلام له .
- ٢- تلاوة القرآن إنذاراً وتعليماً وتعبداً به وتقرباً إلى الله - ﷻ - .
- ٣- بيان وتقرير حرمة بلد الله الحرام مكة المكرمة .
- ٤- النذب إلى حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة ولا سيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها .
- ٥- بيان أن عوائد الكسب عائدة على الكاسب خيراً كانت أو شراً .
- ٦- الإخبار بالغيب من مظاهر إعجاز القرآن الكريم .

القيم المستفادة :

- اتباع الرسول - ﷺ - .
- تعظيم بيت الله الحرام .
- حب القرآن الكريم .



س ١ : استخرج من الآيات ما يدل على المعاني التالية :

١- وظيفة الرسل إبلاغ الناس وليس هدايتهم :

.....

.....

٢- نفع الإيمان والهداية يرجع إلى الإنسان نفسه :

.....

.....

٣- أمر الله نبيه أن يكون من المنقادين لأمره المستسلمين له بالطاعة .

.....

.....

س ٢ : علل ما يلي :

١- إضافة الربوبية إلى البلدة في قوله تعالى ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ :

.....

.....

٢ - قوله تعالى ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ بعد قوله تعالى ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ :

.....

.....

س ٣ : تتمثل فردية التبعة في ميزان الله فيما يختص بالهدى والضلال ، وذلك من أسس الدعوة إلى الله تعالى . اشرح العبارة السابقة من خلال فهمك للآيات .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

س ٤ : فسّر قوله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ :

.....

.....

.....

.....

.....

.....



سورة القصص



بين يدي السورة :

خلاصة ما تضمنته سورة القصص من مقاصد عظيمة ومعان جلية :

- ١- التنويه بشأن القرآن العظيم .
- ٢- إقامة الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة على صدق نبوة محمد ﷺ .
- ٣- الإسهاب في قصة موسى ﷺ - وما فيها من فوائد وعبر ودروس وحكم .
- ٤- حث أهل الكتاب على الإيمان بهذا القرآن وبالنبي ﷺ .
- ٥- ذكر حال كفار قريش وما جابهوا به الدعوة من اختلاق الأعذار في ردها .
- ٦- بيان الحجة برسالة الرسل وإنزال الكتب .
- ٧- ذكر شيء من أهوال وأحوال اليوم الآخر .
- ٨- تفرد الله - عز وجل - بالبقاء وذكر شيء من آلائه وعظيم مخلوقاته .
- ٩- مضاعفة الله تعالى للحسنات جزاء السيئة بمثلها .

فرعون الطاغية

الدرس السادس عشر

سورة القصص الآيات من (١ - ٩)

التمهيد :

قص الله تعالى على رسوله - ﷺ - في القرآن الكريم قصصًا كثيرة عن الأمم والأنبياء والمرسلين ، وبين الله - ﷻ - فوز المؤمنين وخسارة الكافرين ، وفي ذلك العبرة للكافرين والعظة للمؤمنين ، ولما كان القصص ذا أهمية جعل الله له سورة من القرآن الكريم وخصها بهذا الاسم فكانت سورة القصص ، وهي من السور المكية التي نزلت قبل هجرة الرسول - ﷺ - وهو في مكة يدعو قريش للإيمان ويبذل كل طاقاته في سبيل هدايتهم وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور الهداية .

النص

قال تعالى :

﴿ طَسَمَ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِي اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٦ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْوَيْسَ الْأَوْسَى وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ٧ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٨ فَالْقَطْعُ ٩ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ١٠ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
طَسَمَ	أحرف مقطعة الله أعلم بمراده منها .
نَتْلُوا عَلَيْكَ	أي ننزل عليك .
نَبَأًا	الخبر العجيب .
عَلَا	تجبر واستكبر .
شِيعًا	فرقًا يستخدم كل صنف في عمل من بناء وحفر وحرث .
يَسْتَضَعِفُ	يجعلهم ضعفاء مقهورين .
طَائِفَةً	هم بنو إسرائيل .
نَمْنَنَ	تفضل .
أَيِّمَةً	واحدهم إمام وهو من يُقتدى به في الدين أو في الدنيا .
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ	إذ جعل له مكانًا موطأً ممهدًا يجلس عليه ، والمراد به هنا التسلط على أرض مصر والتصرف فيها .
وَهَمَمَنَ	وزير فرعون .
يَحْدُرُونَ	يتوقعونه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل .
وَأَوْحَيْنَا	ألهمنا .
وَلَا تَخَافِي	الخوف غم يحصل بسبب توقع مكروه يحدث في المستقبل .
وَلَا تَحْزَنِي	الحزن (بفتحتين وبضم) غم يحدث بسبب مكروه قد حصل .
الْيَمِّ	البحر ، والمراد هنا نهر النيل .
فَالْتَقَطَهُ	الالتقاط أخذ الشيء فجأة من غير طلب له .
كَانُوا خَاطِئِينَ	الخطأ في الرأي وهو ضد الصواب والمراد به الشرك والعصيان لله .
قُرَّتْ عَيْنِي لِي	فرحة وسرور لي .

الشرح الإجمالي للآيات :

وصف آيات القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿طَسَمَ﴾ هذه من الأحرف الهجائية التي ابتداءً الله تعالى بها بعض سور القرآن الكريم ، وينطق بها بأسمائها هكذا (طاسين ميم) .

وقيل في معناها الله تعالى أعلم بمراده منها ؛ وفي ابتداء بعض السور في أولها حكم عدة منها كما تلمسها العلماء :

١ - التحدي والإعجاز .

٢ - لفت انتباه السامع لكي يتمكن من سماع القرآن .

﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ﴿ تِلْكَ ﴾ اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وخبره ما بعده ، وآيات الكتاب هو القرآن الكريم ، والمبين أي الذي بين الله تعالى فيه الخير من الشر والحق من الباطل والحلال من الحرام ، فهو ذو بيان واضح لا غموض فيه ولا لبس ، أي هذه آيات الكتاب الكريم ، الذي أنزلته إليك أيها الرسول واضحاً جلياً كاشفاً لأمر الدين وأخبار الأولين ، لم تتقوله ولم تتخبره كما زعم المشركون المنكرون له ولرسالة من أوحى إليه ، ثم ذكر ما هو كالدليل على أنه وحي يوحى وليس هو من وضع البشر فقال الله تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

من أنباء السابقين :

وبعد الافتتاح بالأحرف المقطعة والإشارة إلى وضوح القرآن الكريم يبدأ في عرض النبأ ، نبأ موسى -عليه السلام- وفرعون ، حيث يبدأ في عرضه منذ أول القصة -فترة ميلاده- ولا تبدأ مثل هذا البدء في آية سورة أخرى من السور الكثيرة التي وردت فيها . ذلك أن هذه الفترة من قصة موسى -عليه السلام- ، والظروف القاسية التي ولد فيها ، وتجرده في طفولته من كل قوة ومن كل حيلة ، وضعف قومه واستذلهم في يد فرعون ، ذلك كله هو الذي يؤدي هدف السورة الرئيسي ويبرز

يد القدرة سافرة متحدية تعمل وحدها بدون ستار من البشر ، وتضرب الظلم والطغيان والبغي ضربةً مباشرةً عندما يعجز عن ضربها البشر ، وتنصر المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة وتمكن للمعذبين الذين لا حيلة لهم ولا وقاية .

وهو المعنى الذي كانت القلة المسلمة المستضعفة في مكة في حاجة إلى تقريره وتثبيته ، وكانت الكثرة المشتركة الباغية الطاغية في حاجة إلى معرفته واستيقانه .

ولقد كانت قصة موسى -عليه السلام- تبدأ غالباً في السور الأخرى من فترة الرسالة- لا من الميلاد- حيث يقف الإيمان القوي في وجه الطغيان الباغي ثم ينتصر الإيمان وينخذل الطغيان في النهاية . فأما هنا فليس هذا المعنى هو المقصود إنما المقصود أن الشر حين يتمحض يحمل سبب هلاكه في ذاته ، والبغي حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم ، فتنقذهم وتستنقذ عناصر الخير فيهم ، وتربيههم ، وتجعلهم أئمة ، وتجعلهم الوارثين .

فهذا هو الغرض من سوق القصة فهي أداة تربية للنفوس ، ووسيلة تقرير لمعان وحقائق ومبادئ . وتتعاون في بناء القلوب ، وبناء الحقائق التي تعمر هذه القلوب .

﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

لقد ذكر الله تعالى نبأ موسى -عليه السلام- وفرعون وقارون ليقيم الحجة على الكافرين ولا سيما قريشاً ، لأنها إذا كذبت فلن يشفع لها قرابتها بالنبي -ﷺ- كما لم تشفع قرابة موسى -عليه السلام- لقارون ، وكذلك فرعون لما علا وتجرر كانت نهايته الهلاك ، فليحذر كل مغتر بماله وجاهه أن تصيبه فتنة أو عذاب أليم .

يخاطب الله تعالى نبيه محمد -ﷺ- ويخبره أنه سيقص له بعض الأخبار السابقة ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ ﴾ أي : نوحى إليك خبر موسى -عليه السلام- وفرعون ؛ ف ﴿ مِنْ ﴾ هنا للتبعض و ﴿ مِنْ نَبَأٍ ﴾ تعرب مفعولاً لـ ﴿ نَتْلُوا ﴾ ، ﴿ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ ﴾ هنا يخبره بعض من أخبار

موسى - ﷺ - ومحاجته لفرعون وغلبته إياه بالحجة ، وأخبار فرعون وجبروته وطغيانه ، وكيف قابل الحق بالباطل ولم تجد معه البراهين الساطعة و المعجزات الواضحة ، فأخذناه أخذ عزيز مقتدر ، فكانت عاقبته الدمار والوبال ، وأغرق ومن معه من جنده أجمعون ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ نتلوها عليك تلاوةً على وجه الحق كأنك شاهد حوادثها ، مبصر وقائعها ، تصف ما ترى وتبصر عياناً ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لقوم يصدقون بك وبكتابك ، لتطمئن به قلوبهم وتثلج به صدورهم ويعلموا أنه الحق من ربهم ، وأن سنته فيمن خالفك وعاداك من المشركين هي سنته فيمن عادى موسى - ﷺ - ومن آمن معه من بني إسرائيل ، وأن النصر دائماً للمتقين ويخزي الله المكذبين : ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ^(١) . وإنما جعل التلاوة للمؤمنين وهو يتلى على الناس أجمعين ، لبيان أنه لا يعتبر بها إلا من كان له قلب واع وأذن سامعة تذكر وتتعظ بآياته ، أما من أعرض عنه وأبى واستكبر وقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، فلا تفيده الآيات والنذر ، ولا يلقي له بالاً ، ولا يعي ما فيه من حكمة ولا ما يسوقه من عبرة فهو على نحو ما حكى الله تعالى عنهم ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ ^(٢)

علو واستكبار :

ثم فصل هذا المجمل ووضحه بقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي إن فرعون تجبر في مصر وقهر أهلها وجاوز الغاية في الظلم والعدوان وساس البلاد سياسة غاشمة . ومما مكن له في ذلك ما بينه الله - ﷻ - بقوله :

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي وفرقهم فرقاً مختلفة وأحزاباً متعددة ، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء كيلا يتفقوا على أمر ولا يجمعوا على رأي ، ويشغل بعضهم بالكيد لبعض ، وبذا يلين له قيادتهم ولا يصعب عليه خضوعهم واستسلامهم ، وتلك هي سياسة الدول الكبرى . ﴿يَسْتَضِعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ أي يجعل جماعة منهم أذلاء مقهورين ، يسومهم الخسف ويعاملهم بالعسف وهم بنو إسرائيل . ثم فسّر هذا الاستضعاف بقوله : ﴿يَذِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾

١- سورة الرعد (١٧) .

٢- سورة فصلت (٥) .

أي يذبح أبناءهم حين الولادة ، وقد وكل بذلك عيوناً تتجسس ، فكلما ولدت امرأة منهم ذكراً ذبحوه ويستبقي إناثهم ، لأنه كان يتوجس خيفة من الذكران ومن ثم لم يشأ أن يقتل النساء .

كان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يثرونه عن إبراهيم -عليه السلام- ، من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه ، وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل ، فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت إلى فرعون فذكرها له بعض أمرائه وأساورته وهم يسمرون عنده ، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام ، ولن يغني حذر من قدر ! وذكر السدي عن ابن عباس : أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس ، فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل .

فلما استيقظ هاله ذلك ، فجمع الكهنة والحذقة والسحرة وسألهم عن ذلك ، فقالوا : هذا غلام يولد من هؤلاء ويكون سبب هلاك أهل مصر على يديه ، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النساء . والعجب من تصرف فرعون ، فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقاً عنده فما ينفع القتل ، وإن كان كاذباً فلا داعي للقتل ؟

المقصود أن فرعون احترز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى -عليه السلام- ، حتى جعل رجالاً وقوابل يدورون على الحبالى ويعلمون ميقات وضعهن ، فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته . وقد ذكر غير واحد من المفسرين : أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور ، وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار ، فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون ، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يُتركوا عاماً ، وعلل تعالى اجتراحه لتلك الجرائم وإزهاقه للأرواح البريئة بقوله ﴿ **إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ ومن ثم سولت له نفسه أن يفعل ما فعل من تلك الفظائع ، وقتل سلائل الأنبياء بلا جريمة ارتكبوها ولا ذنب جنوه .

منة الله تعالى على بني اسرائيل :

ذكر - ﷺ - بعد ما أكرم به هذه الأمة وما أتاح لها من السلطان الديني والدنيوي ، فتأسست لهم دولة عظيمة في بلاد الشام ، وصاروا يتصرفون في أرض مصر كما شاءوا فقال :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي ونريد أن نتفضل بإحساننا على من استضعفهم فرعون وأذلهم ، وننجيهم من بأسه ، ونريهم في أنفسهم وفي أعدائهم فوق ما يحبون وأكثر مما يؤملون . ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً ﴾ مقتدي بهم في الدين والدنيا . ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ لملك الشام لا ينازعهم فيه منازع ، ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي ونسلطهم على أرض مصر يتصرفون فيها كيفما شاءوا بتأييدهم بكليم الله - ﷺ - ثم بالأنبياء من بعده . ثم بين ما نال عدوهم من النكال والوبال فقال :

﴿ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ أي ونري أولئك الأقوياء والأعداء والألداء على أيدي بني إسرائيل من المذلة والهوان ما كانوا يتوقعونه من زوال الملك والسلطان على يد مولود منهم ، ولكن لا ينجي حذر من قدر ، فنفذ حكم الله الذي جرى به القلم من القَدَم على يد هذا الغلام الذي احترز من وجوده وقتل بسببه ألوفاً من الولدان ، وكان منشؤه ومرباه على فراشه وفي داره وغذاؤه من طعامه ، وكان يدلله ويتبناه ، وحتفه وهلاكه وهلاك جنوده على يديه ، ليعلم أن رب السماوات والأرض هو الغالب على أمره ، الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وحي الله إلى أم موسى - ﷺ - :

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل ، خافت القبط أن يفنى بنو إسرائيل ، فيتولون هم ما كانوا يتولونه من الأعمال الشاقة ، فقالوا لفرعون : إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم ؛ ونسأؤهم لا يمكن أن يقمن بما يقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك ، فأمر بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً ، فولد هارون - ﷺ - في السنة التي يتركون فيها

الولدان ، وولد موسى -عليه السلام- في السنة التي يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون ناس موكلين بذلك وقوابل يُدْرَنَ على النساء ، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها ، فإذا كان وقت ولادتها لايقبلها إلا نساء القبط ، فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن ، وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الذباحون بأيديهم الشفار المسنونة فقتلوه ومضوا قبحهم الله تعالى .

فلما حملت أم موسى به -عليه السلام- لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ، ولم تفتن لها الدايات ولكن لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعاً ، وخافت عليه خوفاً شديداً ، وأحبته حباً زائداً وكان موسى -عليه السلام- لا يراه أحد إلا أحبه ، فالسعيد من أحبه طبعاً وشرعاً ، وقد قال الله تعالى له : ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ ^(١) فلما ضاقت به ذرعاً ، ألهمت في سرها وألقي في خلدها ونفت في روعها كما قال الله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وأجمع أهل العلم أنها لم تكن نبية وإنما هو الإلهام ؛ أي وألهمناها وقذفنا في قلبها أن أرضعيه ما أمكنك إخفاؤه عن عدوه وعدوك .

﴿فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَاقْلِقِهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي﴾ أي فإذا خشيتي أن ينكشف أمره فألقه في النيل ولا تخافي هلاكه ولا تحزني لفراقه .

روي أن دارها كانت على الشاطئ فاتخذت تابوتاً ومهدت فيه مهداً وألقته في النيل ، وليس هناك من دليل على الزمن الذي قضته بين الولادة والإلقاء في اليم .

ثم وعدّها -ﷺ- بما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤه غبطة وسروراً ، وهو رده إليها وجعله رسولا نبياً فقال :

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي إنا رادوا ولدك إليك للرضاع وتكونين أنت مرضعه ، وباعثوه رسولا إلى هذا الطاغية ، وجاعلوا هلاكه ونجاة بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه .

وهذه الآية اشتملت على أمرين : أَرْضَعِيهِ وَأَلْقِيهِ ، ونهيين : وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، وخبرين : إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . وبشارتين في ضمن الخبرين : وهما الرد والجعل من المرسلين ، رُوي أن الموج أقبل به يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى امرأته إلى الشط فوجدن التابوت فأدخلنه إليها وظن أن فيه مالا ، فلما فتحنه وجدن فيه غلاما فلما رآته امرأة فرعون أحبته ، ثم ذكر الله تعالى صدق وعده ومقدمات نجاته فقال : ﴿ فَالْنَقْطَةُ ۚ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ ﴾ الفاء في قوله : ﴿ فَالْنَقْطَةُ ۚ ﴾ هي الفاء الفصيحة والالتقاط أخذ الشيء من غير طلب ، اللام في قوله ﴿ لِيَكُونَ ﴾ لام العاقبة لا لام التعليل ، لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ، والمعنى : أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليَجْعَلَهُ عَدُوًّا لَهُمْ وَحَزَنًا ، فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه ، أي فأخذه أهل فرعون أخذ اللقطة التي يُعْنَى بها وتضان عن الضياع صبيحة الليل الذي ألقى فيه التابوت . ولما أخبرت فرعون به أراد أن يذبحه إذ قال إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل وأن يكون هلاكنا على يديه ، فلم تزل تكلمه حتى تركه لها .

ثم ذكر - ﷺ - أن العاقبة كانت ضد ما قصدت فقال :

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ ﴾ أي لتكون عاقبة أمره كذلك إذ أراد الله هذا ، وهذا كما تقول لآخر تؤنبه على فعل كان قد فعله وهو يظن نفسه محسنا فيه ، وأدى الأمر إلى ضرر قد لحقه : فعلت هذا لضر نفسك ، وهو قد كان حين الفعل راجيا نفعه غير أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو ، وهذا جار على سنن العرب في كلامهم ، فيذكرون الحال بالمثال فعاقبة البناء الخراب وإن كان في الحال مفروحا به ، وعاقبة تغذية السخال الذبح وإن كانت الآن تُغذَّى لتسمن .

والخلاصة إن الله قيضهم لالتقاطه : ليَجْعَلَهُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ، ويستبين لهم بطلان حذرهم منه ، وعداوته إياهم ومخالفته لهم في دينهم وحملهم على الحق ، وحزنهم بزوال ملكهم على يديه بالغرق بعد أن يظهر فيهم الآيات ولا يستجيبوا لدعوته ، فتحل بهم القوارع كما هي سنة الله تعالى في خلقه المكذبين .

لا يمنع حذر من قدر :

يَبْنِي اللهُ تَعَالَى أَنْ الْقَتْلَ الَّذِي يَفْعَلُهُ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ حَمَقٌ وَطِيشٌ فَقَالَ : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ أي إن هؤلاء كان من دأبهم الخطأ وعدم التدبر في العواقب ، ومن ثم قتلوا لأجله ألوفاً ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون ، ثم حكى - ﷺ - قول امرأة فرعون حين رآه فرعون وهم يقتله ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ أي قالت تخاصم عنه وتحبه إلى فرعون : إنه مما تقر به العيون ، وتفرح لرؤيته القلوب ، فلا تقتلوه .

ثم ذكرت آسية بنت مزاحم زوج فرعون العلة التي قالت لأجلها ما قالت .

﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ أي لعننا نصيب منه خيراً لأنني أرى فيه مخايل اليمن ، ودلائل النجاة ، أو نتخذه ولداً لما فيه من الوسامة وجمال المنظر مما يجعله أهلاً لتبني الملوك له ، وكانت لا تلد فاستوهبته من فرعون فوهبه لها .

ثم بين - ﷺ - أنهم لا يدرون خطأهم فيما صنعوا فقال :

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي وهم لا شعور لهم بما خبأه لهم القدر ، وبما يتول إليه أمرهم معه من عظام الأمور التي تؤدي إلى هلاكهم ، وإنما علم ذلك لدى علام الغيوب ، فهو الذي يدري ما أراد بالتقاطهم إياه من الحكم البالغة ، والحجج القاطعة .

من هداية الآيات :

- ١- بيان إعجاز القرآن .
- ٢- القرآن الكريم آيات بينات ، وحجج دامغات .
- ٣- من أعظم المقاصد في القرآن العظة والعبرة ، والاعتبار بها .
- ٤- بيان تجبر فرعون وتكبره على بني إسرائيل .
- ٥- بيان فساد عقيدة فرعون وأعدائه .

- ٦- بيان المأساة التي عاشها بنو إسرائيل في عهد فرعون ثم نجاهم الله .
- ٧- الله رب السماوات والأرض هو الغالب على أمره ، الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .
- ٨- قد يحصل الإنسان على مافيه هلاكه وحتفه دون أن يشعر .
- ٩- إذا أراد الله أمراً هياً له أسبابه .

القيم المستفادة :

- التوكل على الله تعالى .
- تصديق القصص القرآني .
- التواضع .



التقويم

س ١ : أجب عما يأتي :

١- ما الحكمة من وجود الأحرف المقطعة في أوائل السور؟

.....

.....

٢- لماذا خص المؤمنون في قوله ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؟

.....

.....

٣- لماذا قص الله تعالى في هذه السورة قصة موسى -عليه السلام- وفرعون وهارون؟

.....

.....

٤- اشرح قوله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ :

.....

.....

س ٢ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- سورة القصص من السور المكية . ()
- ٢- الأرض التي عناها الله تعالى في الآيات هي أرض الشام ومصر . ()
- ٣- ولد موسى -عليه السلام- في السنة التي كان يذبح بها الأطفال . ()
- ٤- نزل الوحي لجبريل -عليه السلام- على أم موسى -عليها السلام- . ()

س ٣ : علل ما يأتي :

١- تسمية سورة القصص بهذا الاسم :

.....

.....

.....

.....

٢- نجا هارون - عليهما السلام - من قتلة فرعون :

.....

.....

.....

.....

التمهيد :

استجابت أم موسى - ﷺ - لإلهام الله تعالى لها وانتهى الأمر ببلوغ موسى - ﷺ - قصر فرعون ، حيث كانت تخاف أمه عليه من القصر الذي جعله الله تعالى واحة أمن له بعد ذلك ، فلنسرّد الآيات ثم نتعرض لما فيها من معانٍ وفوائد ولعلنا نقف على حقيقة كل موقف فيها ، فإليك هذه الآيات أولاً ثم شرحها بإيجاز واختصار . . .

النص

قال تعالى :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ١١ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝ ١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ١٣ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ ١٤ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۝ ١٧ ﴾

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
فَرِغًا	خاليًا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة .
لَنُبْدِيْ بِهِ	تظهره تكشف سرّها وتقول إنه وليدها .
رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا	شده والمراد هنا تثبته .
قُصِّيه	اقتفي أثره وتتبعي خبره .
فَبَصَّرْتَهُ بِهِ	أبصرته .
عَنْ جُنْبٍ	عن بعد .
وَحَرَمْنَا	منعنا .
يَكْفُلُونَهُ	يضمنون رضاعته والقيام بشؤونه .
نَقَرَ عَيْنَهَا	تهدأ وتستقر وتأمن بعد خوفها على وليدها .
بَلَغَ أَشُدَّهُ	استكمال القوة الجسمية وانتهاء النمو المعتدّ به .
وَأَسْتَوَى	اعتدال العقل وكماله .
الْمَدِينَةَ	مصر .
عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ	في وقت لا يتوقع دخوله فيها .
مِنْ شَيْعِهِ	ممن شايعه وتابعه في الدين وهم بنو إسرائيل .
مِنْ عَدُوِّهِ	من مخالفيه في الدين وهم القبط .
فَأَسْتَغْنَى	طلب النصرة .
فَوَكَرَهُ	ضربه بجمع يده .
فَقَضَى عَلَيْهِ	قتله وأنهى حياته .
عَمَلِ الشَّيْطَانِ	من تزيينه .
مُيِّنٌ	ظاهر العداوة والإضلال .
فَاغْفِرْ لِي	فاستر ذنوبي .
ظَهِيرًا	معينًا .

الشرح الإجمالي :

حزن والده على ولدها :

لما فارق موسى -عليه السلام- أمه ، حزنت حزناً شديداً ، وأصبح فؤادها فارغاً إلا من القلق الذي أزعجها على مقتضى الحالة البشرية ، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن والخوف ، ووعدّها برده إليها . ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾ أي : تظهر ما في قلبها من خوف وقلق على موسى -عليه السلام- ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ فثبتناها فصبرت ولم تظهر شيئاً من أمرها ﴿لِتَكُونَ﴾ بذلك الصبر والثبات ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت ، ازداد بذلك إيمانه ودل ذلك على أن استمرار الجزع دليل على ضعف إيمان وقالت أم موسى -عليه السلام- : ﴿لَأُخْتِهِ قُصِيهٖ﴾ أي : اذهبي فتبعي أثر أخيك ، وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك . فذهبت تقصّه ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي : أبصرته عن بُعد أو عن جانب متخفية وهذا من تمام الحزم والحذر ، فإنها لو أبصرته وجاءت إليهم قاصدة موسى -عليه السلام- لظنوا بها أنها هي التي ألقته فربما عزموا على ذبحه عقوبة لأهله ، ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ ومن لطف الله تعالى أن امتنع عن الرضاع ، فطلبت امرأة فرعون لموسى المَرْضَعَاتِ لِيَرْضِعَنَّهُ ، فَلَمْ يَرْضَعْ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ أُخْتُه لَمَّا رَأَتْ امْتِنَاعَهُ مِنَ الرِّضَاعِ ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ أي : يضمنون لكم القيام به وإرضاعه ، وهم له ناصحون أي : مُشْفِقُونَ عَلَيْهِ لَا يُقْصِرُونَ فِي إِرْضَاعِهِ ، والمراد أنهم يعملون ما ينفعه في غذائه وتربيته ، ولا يقصرون في خدمته .

فلما قالت لهم أخته تلك المقالة المشتملة على الترغيب في أهل هذا البيت ، بتمام حفظه وكفالاته والنصح له . وفي الكلام حذف ، والتقدير : فَقَالُوا لَهَا : مَنْ هُمْ؟ فَقَالَتْ : أُمِّي ، فَقِيلَ لَهَا : وَهَلْ لِأُمِّكَ لَبَنٌ؟ قَالَتْ نَعَمْ لَبَنُ أَخِي هَارُونَ ، فَدَلَّتْهُمْ عَلَى أُمِّ مُوسَى فَدَفَعُوهُ إِلَيْهَا ،

فَقَبِلَ ثَدْيَهَا وَرَضِعَ مِنْهُ ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾
 بَوْلَدِهَا ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ عَلَىٰ فِرَاقِهِ ، حَيْثُ أَنَّهُ تَرَبَّى عِنْدَهَا عَلَىٰ وَجْهِ تَكُونِ فِيهِ أَمْنَةٌ مَطْمَئِنَّةٌ
 تَفْرَحُ بِهِ ، وَتَأْخُذُ الْأَجْرَةَ الْكَثِيرَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أَيُّ : جَمِيعٌ
 وَعَدِهِ وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ مَا وَعَدَهَا بِقَوْلِهِ : ﴿إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىٰكَ﴾ حَقٌّ لَا خَلْفَ فِيهِ ، وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ : أَكْثَرُ آلِ فِرْعَوْنَ لَا يَعْلَمُونَ بِذَلِكَ ، بَلْ كَانُوا فِي غَفْلَةٍ عَنِ
 الْقَدْرِ وَسِرِّ الْقَضَاءِ ، أَوْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ بِذَلِكَ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهَا بِأَنْ يَرُدَّهُ إِلَيْهَا وَأَنَّ
 اللَّهَ تَعَالَىٰ يَجْعَلُ الْمَحْنَ وَالْعُقُوبَاتِ الشَّاقَّةَ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ الْعَالِيَةِ وَالْمَطَالِبِ الْفَاضِلَةِ .

موسى - ﷺ - والقصر :

واستمر موسى - ﷺ - عند آل فرعون يتربى في سلطانهم ويركب مراكبهم ، ويلبس
 ملابسهم ؛ وأمه بذلك مطمئنة ، قد استقر أنها أمه من الرضاع ، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوه
 عليها ؛ وتأمل هذا اللطف من الله تعالى ، وصيانة نبيه موسى - ﷺ - من الكذب في منطقته ،
 وتيسير الأمر الذي صار به التعلق بينه وبينها ، والذي بان للناس أنه هو الرضاع ، والذي بسببه
 يسميها أمًّا ، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله صدقًا وحقًّا .

أحداث في حياة موسى - ﷺ - :

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ولما قوى جسمه واعتدل عقله ، والمراد بالأشدُّ مَا بَيْنَ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ إِلَى
 الثَّلَاثِينَ ، ﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ وَالْإِسْتَوَاءُ مِنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ ، وَقِيلَ : الْإِسْتَوَاءُ إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ
 الْخَلْقَةِ ، وَقِيلَ أَنْ بُلُوغَ الْأَشَدِّ وَالْإِسْتَوَاءَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْعَطْفَ يُشْعِرُ
 بِالْمُغَايَرَةِ ، ﴿ءَايَتْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أَيُّ : آتَيْنَاهُ فَهْمًا فِي الدِّينِ وَعِلْمًا كَثِيرًا يَعْرِفُ بِهِ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ
 وَيُحْكَمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ . ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يُعْطِيهِمْ عِلْمًا وَحُكْمًا ، بِحَسَبِ إِحْسَانِهِمْ ،
 وَدَلَّ هَذَا عَلَى كَمَالِ إِحْسَانِ مُوسَى - ﷺ - ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ
 مِّنْ أَهْلِهَا﴾ إِمَّا وَقْتُ الْقَائِلَةِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَذَلِكَ فِي وَقْتٍ لَا يَتَوَقَّعُونَ دَخُولَهُ فِيهِ

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ يتخاصمان ويتضاربان ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ﴾ أي : من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوٍّ﴾ يعني من القبط . فاستغاثه الإسرائيلي على القبطي ، لأنه قد اشتهر وعلم الناس أنه من بني إسرائيل ، واستغاثه لموسى -عليه السلام- دليل على أنه بلغ مبلغاً يُخشى منه ، ويرجى من بيت المملكة والسلطان . ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ -عليه السلام- أي : ضرب موسى -عليه السلام- القبطي الذي هو عدو لهما بجمع يده في صدره وحنكه ، استجابةً لاستغاثة الإسرائيلي ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي : قتله بتلك الوكزة لشدتها وقوة موسى -عليه السلام- فندم موسى -عليه السلام- على ما جرى منه ، و ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي : من تزيينه ووسوسته - وهكذا المؤمن ينسب الشر إلى نفسه والشیطان - ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ أي إنه عدو فينبغي الحذر منه ، مضل فلا يقود إلى خير بين العداوة والإضلال . فلذلك وقع من موسى -عليه السلام- ما وقع بسبب عداوته البينة وحرصه على الإضلال ، ثم استغفر موسى -عليه السلام- ربه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وكيف يظلم نفسه والمقتول كافر؟

قيل : إن موسى -عليه السلام- اعتبر أنه ظلم نفسه لأمرين :
أولهما : أنه تجاوز الحد حيث لم يؤمر بقتل الكفار في هذا الوقت .
والثاني : أنه مؤتمن عندهم فما كان ينبغي له أن يقتل أحدهم .

إن ما وقع من موسى -عليه السلام- في هذه المسألة لم يخرق عصمته ، لأنه ما أراد إلا وكره والوكزة غالباً لا تقتل ، وطلب المغفرة حال خصوصية المخبتين إلى ربهم ، المبادرين للإنابة والتوبة إليه كما جرى من موسى -عليه السلام- ؛ ولذلك ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قيل الباء للقسم والجواب فلن أكون ظهيراً ، وقيل الباء للسببية ومعناها اعصمني بسبب ما أنعمت به علي ، ويكون قوله فلن أكون ظهيراً مترتباً عليه ويكون في ذلك استعطاف لله -تعالى- وتوصل إلى إنعامه بإنعامه بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ أي : معيناً ومساعدًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي : لا أعين أحداً على معصية ؛ ولن أكون مساعدًا لفرعون ولا غيره من العصاة العتاة المجرمين ، وهذا وعد من موسى -عليه السلام- ، بسبب منة الله تعالى عليه ، أن لا يعين مجرمًا كما فعل في قتل القبطي ؛ وهذا يفيد أن النعم توجب على العبد فعل الخير وترك الشر .

هداية الآيات :

- ١- الهم والقلق مما يعتري الإنسان ولو كان صالحاً .
- ٢- الثقة بالله تحمل العبد على الصبر والثبات .
- ٣- اهتمام أبناء الأسرة الواحدة بشؤونهم الخاصة ضرب من ضروب التعاون والتضامن .
- ٤- الحكمة في التصرف توفيق من الله تعالى لا يناله إلا الموفقون .
- ٥- الثقة بالله والإطمئنان لما قدره وقضاه من أبرز صفات المؤمنين .
- ٦- إن الله لا يخلف وعداً ولا ينقض عهداً .
- ٧- الاستقامة على أمر الله لا تأتي إلا بالخير .
- ٨- الانتباه حين فض الخصومة إلى عدم التحيز لأحد دون آخر .
- ٩- الاعتراف بالحق فضيلة .
- ١٠- من تاب ، تاب الله عليه .
- ١١- عدم مناصرة ومعاونة الظالمين والمجرمين .

القيم المستفادة :

- اليقين .
- الصبر .
- الفطنة .



س ١ : علام يدل قول الله تعالى ﴿ وَأَصْبَحَ قُودُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ﴾ ؟

.....

.....

.....

.....

س ٢ : ما مظهر رباط الله على قلب أم موسى - ﷺ - ؟

.....

.....

.....

.....

س ٣ : بم يؤثر الجزع والحزن الشديد على العبد ؟

.....

.....

.....

.....

س ٤ : استخرج من الآيات ما يدل على ذكاء أخت موسى - ﷺ - وحيطتها وشدة وحذرها :

.....

.....

.....

.....

س ٥ : وضح كيف لطف الله بموسى -عليه السلام- وأمه ؟

.....

.....

.....

.....

س ٦ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- قالت لأخته قصيه أي رافقيه . ()
- ٢- فرح فرعون فرحاً شديداً بموسى -عليه السلام- . ()
- ٣- ألقى الله محبة موسى -عليه السلام- في قلب امرأة فرعون . ()
- ٤- الثقة بالله تحمل العبد على الصبر والثبات . ()

لا ملجأ ولا منجأ من الله تعالى إلا إليه

الدرس الثامن عشر

سورة القصص الآيات من (١٨ - ٢٤)

التمهيد :

بعد أن عاهد موسى -عليه السلام- ربه أن لن يعود إلى ارتكاب ما يخالف ما لا ينبغي أن يكون عليه ، وقد قضى موسى -عليه السلام- ليلته بين النائم واليقظان بسبب الهم الذي ملأ قلبه بقتل القبطي ، فما إن أشرقت شمس الصباح إلا وخرج ليطمئن بنفسه لعل الأمر قد نسي وتمر الأيام دون تعكير أو تغيير ، فراح يمشي على حذر ويتسمع الأخبار عن كذب وكأنه يتمثل قول القائل كاد المريب أن يقول خذوني ، وتتوالى الأحداث وتزداد عمقاً عما كان ينتظر . فلتتلوا الآيات حتى نصل مع موسى -عليه السلام- إلى نهاية المطاف ونتعرف على مستجدات الأحداث وما في ذلك من عبر ودروس .

النص

قال تعالى :

﴿ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ١٨ ﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ١٩ ﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى ابْنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠ ﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢١ ﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ٢٢ ﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ٢٣ ﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

﴿ ٢٤ ﴾

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
يَسْتَصْرِخُهُ	يطلب الاستغاثة برفع الصوت .
لَغَوِيٌّ	ضال .
يَبْطِشُ	يأخذ بصولة وسطوة .
جَبَّارًا	الذي يفعل ما يفعل دون نظر في العواقب .
الْمُصْلِحِينَ	ممن ييغون الإصلاح بين الناس ، ويدفعون التخاصم بالحسنى .
أَقْصَا الْمَدِينَةِ	أبعد ما مكاناً .
يَسْعَى	يسرع .
الْمَلَأَ	أشرف الدولة ووجهائها .
يَأْتَمِرُونَ بِكَ	يتشاورون في أمرك .
يَتَرَقَّبُ	يلتفت يمنة ويسرة .
تَوَجَّهَ	صرف وجهه إليه .
تَلَقَاءَ مَدِينٍ	جهتها .
وَرَدَ	وصل .
مَاءَ مَدِينٍ	البر التي كانوا يستقون منها .
أُمَّةٌ	جماعة .
تَذُودَانِ	تطردان غنمهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء .
خَطْبُكُمَا	ما شأنكما .
يُصْدِرُ الرِّعَاءَ	يصرفون مواشيهم عن الماء .
تَوَلَّى	انصرف .
الْظِّلِّ	ظل شجرة كانت هناك .
خَيْرٍ	يكون بمعنى الطعام .
فَقِيرٌ	محتاج .

الشرح الإجمالي للآيات :

موسى يدخل إلى المدينة :

ما زال السياق في قصة موسى -عليه السلام- بعد مقتل القبطي وظناً منه أن الخبر لازال في طي الكتمان رغم البحث والتحري عنه ، إلا أن الأسباب هيأت للسر أن يُعرف ، لاسيما أنه عاد إلى المدينة ليطمئن بنفسه على الأمن الذي أصبح على وشك فقدانه ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ أي دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي ، وإعراب كلمة خائفاً في الآية هي : خبر أصبح ، ويجوز أن يكون حالاً ، والخبر : في المدينة ، ويتربح يجوز أن يكون خبراً ثانياً ، وأن يكون حالاً ثانية ، وأن يكون بدلاً من خائفاً ، ومفعول يتربح محذوف ، والمعنى : يتربح المكروه أو يتربح الفرح ، ﴿فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ إذا هي الفجائية والموصول مبتدأ وخبره يستصرخه : أي فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي استغاثة بالأمس يقاتل قبطياً آخرًا أراد أن يسخره ويظلمه كما أراد القبطي الذي قد قتله موسى -عليه السلام- بالأمس ، والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ ، وذلك أن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ -عليه السلام- ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي بين الغواية وهي الفساد في الخلق والدين لأنه تسبب بالأمس لقتل رجلٍ يريد اليوم أن يتسبب لقتل آخر .

انكشف سر موسى -عليه السلام- :

ظن موسى -عليه السلام- أن سرّه لن يكشف ولكن الله قدر قدراً بسببه انكشف السر وتفشى وأصبح معلوماً ، وكان ظهوره على يد من أغاثه من بني إسرائيل .

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ أي يبطش بالقبطي الذي هو عدو لموسى -عليه السلام- وللإسرائيلي حيث لم يكن على دينهما ، ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا﴾ بالأمس القائل هو الإسرائيلي لما سمع موسى -عليه السلام- يقول له : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ورآه يريد

أن يبطش بالقبطي فظن أنه يريد أن يبطش به ، فقال لموسى -عليه السلام- ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ فلما سمع القبطي ذلك أفشاه ، ولم يكن قد علم أحد من أصحاب فرعون أن موسى -عليه السلام- هو الذي قتل القبطي بالأمس حتى أفشى عليه الإسرائيلي ، هكذا قال جمهور المفسرين ، وقيل إن القائل ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ هو القبطي ، وكان قد بلغه الخبر من جهة الإسرائيلي ، وهذا هو الظاهر ، وقد سبق ذكر القبطي قبل هذا بلا فصل لأنه هو المراد بقوله عدو لهما ، ولا موجب لمخالفة الظاهر حتى يلزم عنه أن المؤمن بموسى -عليه السلام- المستغيث به المرة الأولى ، والمرة الأخرى هو الذي أفشى عليه ، وأيضاً إن قوله : ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يليق صدور مثله إلا من كافر ، وإن في قوله : ﴿إِنْ تُرِيدُ﴾ هي النافية أي ما تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض ؛ قال الزجاج : الجبار في اللغة الذي لا يتواضع لأمر الله تعالى والقاتل بغير حق ، وقيل الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أي الذين يصلحون بين الناس .

مؤمن آل فرعون وحرصه على موسى -عليه السلام- :

مما لاشك فيه أن الإيمان يدفع المؤمن إلى الحرص على أخيه المؤمن ، فإذا به يحرك مكامن الحب لأخيه المؤمن فيسعى لنجاته والحرص على حياته ، ولا سيما إذا كان هذا مع صاحب الدعوة وهو نبي الله موسى -عليه السلام- ؛ قال تعالى ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ قد وصفه الله بالرجولية لما وجد فيه من همة ومروءة تدعم الإيمان في قلبه ، فما كان منه إلا أن خالف الطريق فسلك طريقاً أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى -عليه السلام- ، ولم يتقاعس أو يتباطأ حرصاً على موسى -عليه السلام- فلما لقي الرجل موسى -عليه السلام- ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي يتشاورون في أمرك ويدبرون لك أمراً بخصوص قتلك القبطي ، ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ أي من البلد ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ . قيل المراد بهذا الرجل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل غير ذلك ؛ والمراد بأقصى المدينة : آخرها وأبعدها .

خروج موسى - ﷺ - إلى مدين :

كما نعلم أن شأن الأنبياء والدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان أنهم مضطهدون من أقوامهم ، فليس أمامهم إلا الخروج والانتقال من بلد إلى بلد لعلهم يجدون فيها من يواسيهم ويعينهم على شطف العيش ومشقة الحياة ، حتى يتمكنوا من الدعوة إلى الله تعالى دون حرج أو قيود .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أي نحو مدين قاصداً لها ، ومدين في الأصل اسم قبيلة كانت تسكن في موضع فسمي الموضع باسم القبيلة ، وقد اختار موسى - ﷺ - هذا المكان لأنه لم يكن خاضعاً لسلطان فرعون وجنوده ولهذا خرج إليها ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ رب اهديني إلى سواء السبيل وأرشدني إلى الطريق القويم ونجني من هؤلاء الظلمة ، وقد قال هذا توكلًا على الله وثقة بحسن توفيقه وقد كان لا يعرف الطريق ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أي وصل إليه وهو الماء الذي يستقون منه ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ أي وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم ، ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ أي من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التي جاء منها ، وقيل معناه : في موضع أسفل منهم ﴿ أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أي تحبسان أغنامهما من الماء حتى يفرغ الناس ويخلو بينهما وبين الماء ، ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ أي قال موسى - ﷺ - للمرأتين : ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس ؟ والخطب الشأن ، قيل : وإنما يقال ما خطبك لمصاب أو مضطهد أو لمن يأتي بمنكر ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ أي إن عادتنا التآني حتى يصدر الناس عن الماء وينصرفوا عنه حذراً من مخالطتهم ، أو عجزاً عن السقي معهم ، والرعاء جمع راع ، ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ كبير السن ، وهذا من تمام كلامهما : أي لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر ، فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان أن نسقي الغنم لعدم وجود رجل يقوم لنا بذلك ، فلما سمع موسى - ﷺ - كلامهما ابتدر إلى مساعدتهما .

مبادرة بصنع المعروف :

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ قال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، قال : فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان قال : ما خطبكما ؟ فحدثناه ، فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنوباً (دلووا) واحداً حتى رويت الغنم .

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ رحمة بهما أي سقى أغنامهما لأجلهما ، ﴿ ثُمَّ ﴾ لما فرغ من السقي لهما ﴿ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ أي انصرف إليه فجلس فيه ، قيل : كان هذا الظل ظل سمرة وهو شجر صحراوي معروف هناك ؛ ثم قال لما أصابه من الجهد والتعب منادياً لربه : ﴿ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي خير كان ﴿ فَقِيرٌ ﴾ أي محتاج إلى ذلك ، قيل : أراد بذلك الطعام ، واللام في ﴿ لِمَا أَنْزَلْتَ ﴾ معناها إلى ، يقال : هو فقير له وإليه .

هداية الآيات :

- ١- بيان أنه لا يغني حذر من قدر .
- ٢- نصرة المظلوم قد تكون برده عن ظلمه .
- ٣- نصرة المؤمن والغيرة عليه واجب شرعي .
- ٤- النصيحة الصادقة نوع من أنواع النصرة .
- ٥- الاعتماد على الله تعالى ، والتوكل إليه باب من أبواب النجاة .
- ٦- المبادرة إلى صنع المعروف .
- ٧- اللجوء إلى الله تعالى في وقت الشدة والرخاء سواء .

القيم المستفادة

- نصرة المظلوم .
- تعظيم الذنب .
- النصح والإخلاص .



س ١ : أجب عما يأتي :

١- ما الذي جعل موسى -عليه السلام- يمشي في شوارع المدينة خائفاً؟

.....

.....

.....

.....

٢- ما السبب في كشف سر القبطي الذي قتله موسى -عليه السلام-؟

.....

.....

.....

.....

٣- كيف ترد على من ادّعى أن موسى -عليه السلام- خرق العصمة بقتله القبطي؟

.....

.....

.....

.....

س ٢ : استخرج من الآيات ما يؤكد المعنى التالي :

١- اهتمام المؤمن بأخيه المؤمن جعله يتحرك مسرعاً نحوه بالنصيحة والفرار من العدو :

.....

.....

.....

.....

٢- المبادرة إلى صنع المعروف وتقديم الخدمات للآخرين تعتبر من المروءة والرجولة :

.....

.....

.....

.....

س ٣ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- قال القبطي لموسى -عليه السلام- أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس . ()
- ٢- مؤمن آل فرعون هو هارون أخو موسى -عليهما السلام- . ()
- ٣- قتل موسى -عليه السلام- للقبطي لا يخرق عصمة الأنبياء . ()
- ٤- مبادرة موسى -عليه السلام- لخدمة المرأتين من المروءة والشهامة . ()

التمهيد :

الحياء خلق فاضل عظيم يدل على نبل ومروءة ، وعلى تدبّر وعفة ولا سيما في المرأة المسلمة ، وهو شعبة من شعب الإيمان ولا يأتي إلا بخير ، وهو الذي يحمل على فعل الجميل وترك القبيح والوفاء بالعقود والخشية من التقصير في حق كل ذي حق وأعظمه حق الله تعالى ثم حقوق الناس ، فمن اتصف به فقد اجتمعت فيه خصال الخير . . . وهذا المشهد من قصة موسى - عليهما السلام - مثال ظاهر على ذلك .

النص

قال تعالى :

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آتِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْتِيَّ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
أَسْتَحْيَاءُ	شدة الحياء .
لِيَجْزِيكَ	ليشيك .
الْقَصَصَ	الحديث المخصوص أي المخبر به .
أَنْكِحَكَ	أزوجك .
حَجَجَ	واحدًا حجة بكسر الحاء وهي السنة .
أَشَقَّ عَلَيْكَ	أدخل عليك مشقة .
الْأَجَلَيْنِ	الأطول أو الأقرب .
فَلَا عُدُونَ	فلا حرج .
وَكَيْدٌ	شهيد .

الشرح الإجمالي للآيات :

أمر عجيب :

وبعد أن انتهى موسى -عليه السلام- من سقي الغنم لبنات الرجل الصالح توجه على الفور إلى ظل شجرة ، ثم جلس منشغلاً بدعاء ربه أن يرزقه ما يغنيه ويعينه على أمور دنياه ، وإذا به يفاجأ بأن إحدى المرأتين قد أتت إليه تدعوه لأبيها .

ولما رجعت المرأتان سريعاً بالغنم إلى أبيهما ، أنكر حالهما بسبب مجيئهما سريعاً فسألتهما عن خبرهما ، فقستا عليه ما فعل موسى -عليه السلام- ، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها ، قال الله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ وهذا يدل على طيب معدنها وخلقها الحسن فإن

الحياء من الأخلاق الفاضلة وخصوصاً في النساء ويدل على أن موسى -عليه السلام- لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يُستحيى منه عادةً وإنما هو عزيز النفس فرأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه ما أوجب لها الحياء منه فجاءته تمشي مشي الحرائر ، قال عمر -رضي الله عنه- : «جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ، ليست بسلفع من النساء» والسلفع هي السليطة .

﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى دَعْوِكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ لا للمن عليك بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان ، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك ، وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة ، بل قالت : ليشبك ويكافئك على سقيك لغنمنا ، فلما ذهب معها طلب منها أن تمشي خلفه خشية أن تصف الريح شيئاً من بدنّها ، وهذا من كمال الأمانة لدى الرجل الوقور العفيف ؛ وهذا درس عظيم في العفة والأمانة والمروءة والشهامة .

موسى -عليه السلام- وصاحب مدين :

ولما انصرف موسى -عليه السلام- مع ابنة صاحب مدين وبلغ المنزل جلس إلى أبيها يحدثه عن أحواله وما جرى له من أحداث ؛ يقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي ذكر له ما كان من أمره وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده فأجابه الرجل الصالح مسكناً روعه جابراً قلبه قائلاً : ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي : ليذهب خوفك وروعك فإن الله نجاك منهم ، حيث وصلت إلى هذا المحل الذي ليس لهم عليه سلطان .

﴿قَالَتْ إِحْدَهُمَا﴾ أي : إحدى ابنتيه ﴿يَتَأْتِ أَسْتَجِرُّهُ﴾ أي : اجعله أجيراً عندك ، يرعى الغنم ويسقيها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ أي : إن موسى -عليه السلام- أولى من استؤجر ، فإنه جمع القوة والأمانة - فقد رفع الحجر وحده ومشى أمامهما حتى لا يرى لهما عورة- وخير

أجبر استؤجر من جمعهما - أي القوة والقدرة - على ما استؤجر عليه ، والأمانة فيه بعدم الخيانة ؛ وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يوَلَّى لإنسانٍ عملاً بإجارة أو إمارة أو وكالة أو وصية أو إدارة ونحو ذلك ؛ فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما ، وأما باجتماعهما فإن العمل يتم ويكمل .

وفي الآية دليل على مشروعية الإجارة وأنها مشروعة عند الأمم السابقة .

مَنْ صَاحِبُ مَدِينِ الذِّي تَقَى بِهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ؟

وقد ذكر ابن كثير اختلاف المفسرين في صاحب مدين من هو؟ فعلى أحد الأقوال أنه شعيب النبي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الذي أرسل إلى أهل مدين ، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء وممن قال به الحسن البصري ، والقول الثاني ما ذهب إليه السعدي في تفسيره حيث قال رحمه الله : (وهذا الرجل - أبو المرأتين - صاحب مدين ، ليس بشعيب النبي المعروف كما اشتهر عند كثير من الناس ، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل ؛ وغاية ما يكون أن شعيباً - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قد كانت بلده مدين ، وهذه القضية جرت في مدين فأين الملازمة بين الأمرين؟ . وأيضاً ، فإنه غير معلوم أن موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أدرك زمان شعيب فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيباً ، لذكره الله تعالى ولسمته المرأتان . أيضاً فإن شعيباً - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه ولم يبق إلا من آمن به ؛ وقد أعاد الله المؤمنين به أن يرضوا لبنتي نبيهم بمنعهما عن الماء وصد ماشيتهما ، حتى يأتيهما رجل غريب فيحسن إليهما ويسقي ماشيتهما وما كان شعيب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ليرضى أن يرضى موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عنده ويكون خادماً له وهو أفضل منه وأعلى درجة ، إلا أن يقال : هذا قبل نبوة موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فلا منافاة . وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي - ﷺ - ، والله أعلم .

العقد شريعة المتعاقدين :

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ ﴾ أي طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى غنمه ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين ، وقوله : ﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ أي على أن ترعى غنمي ثماني سنين ، فإن تبرّعت بزيادة سنتين فهو إليك وإلا ففي الثمان كفاية ، ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي لا أشاقتك ولا أؤذيك ولا أماريك ، فرغبه بهذا الأسلوب في سهولة العمل وفي حسن المعاملة . وهذا يدل على أن الرجل الصالح ينبغي أن يحسن خلقه مع الناس ، قد استدل بعض أهل العلم ومن تبعهم في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية ، وقوله تعالى إخباراً عن موسى -عليه السلام- ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ يقول : إن موسى -عليه السلام- قال لصهره : الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين ، فإن أتممت عشراً فمن عندي ، فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ، ولهذا قال ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ ﴾ أي فلا حرج علي مع أن الكامل وإن كان مباحاً لكنه فاضل من جهة أخرى ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾^(١) ، هذا وقد دل الدليل على أن موسى -عليه السلام- إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال : سألتني يهودي من أهل الحيرة : أي الأجلين قضى موسى ؟ فقلت : لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله ، فقدمت على ابن عباس -رضي الله عنه- فسألته ، فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل .

من هداية الآيات :

- ١- الحياء خلق فاضل عظيم ولا سيما في المرأة .
- ٢- لا بأس من أخذ المكافأة على العمل الصالح .
- ٣- بيان أن الشكوى بين يدي من يُرجى نفعه جائزة .
- ٤- التسرية عن المهموم حق المسلم على أخيه المسلم .
- ٥- التفاؤل بالخير مدعاة للحصول عليه .
- ٦- بيان مشروعية الإجارة على المطعم والمسكن .
- ٧- توفر القوة والأمانة عامل مساعد في إنجاز المهام مهما كانت .
- ٨- ترغيب الرجل الصالح في تزويج الرجل الصالح من بناته أمر مشروع .
- ٩- وجوب الوفاء بالشروط المباحة الصحيحة .
- ١٠- مما لا شك فيه هناك فرق بين العدل والفضل .

القيم المستفادة :

- الحياء
- الإخلاص
- الوفاء



س ١ : أجب عما يأتي :

١ - ما الذي أثار الدهشة والعجب عند صاحب مدين من ابنتيه؟

.....

.....

٢ - استنبط أهل العلم مسألة في المعاملات من قصة زواج موسى - عليه السلام - بينها؟

.....

.....

س ٢ : علل ما يأتي :

١ - حقيقة بث صاحب مدين الأمن في نفس موسى - عليه السلام - :

.....

.....

٢ - رغبة ابنة صاحب مدين في استئجار موسى - عليه السلام - :

.....

.....

س ٣ : اختر للآيات في الجدول التالي ما يناسبها من الحقائق الدالة عليها بوضع الرقم بين القوسين :

الآية الكريمة	الرقم	الحقيقة الدالة عليها
١- ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾	()	وصفان مهمان لمن يتولى عملاً لغيره .
٢- ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	()	ينبغي للمسلم أن يحسن التعامل مع الناس .
٣- ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾	()	القيام بأعباء النبوة والرسالة .
٤- ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	()	حق المسلم على أخيه التسرية عن همومه .
	()	الحياء خلق فاضل من أخلاق المسلم .

التمهيد :

اجتمعت في موسى - ﷺ - صفات العلم والفطنة والصدق والأمانة والقوة والشجاعة والمروءة والشهامة ، حتى صقلت شخصيته وهى لأمر عظيم ، أمر الدعوة إلى الله تعالى والدعوة إلى التوحيد ، إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . .
وهذه الدعوة تتمثل في دعوة رجل يعتبر رمزاً للظلم والفساد والقهر والاستبداد في زمانه ألا وهو فرعون مصر ؛ وهنا تبدأ رحلة المشاق في سبيل الله . . .

فدرب الصاعدين كما علمتم به الأشواك تفرش لا الورود

النص

قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَآئِلًا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٣٢)

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
قَضَى	أتم المدة المحددة وزيادة .
الْأَجَلَ	الوقت المحدد .
الْطُّورِ	اسم جبل في منطقة سيناء بمصر .
جَذْوَةٍ	قطعة غليظة من الخشب المشتعلة من أحد طرفيها .
تَصْطَلُون	تستدفئون .
جَنَاحَك	جنبك .

الشرح الإجمالي للآيات :

بداية الرحلة :

قد تقدم في تفسير الآية قبلها أن موسى -عليه السلام- قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما ، وقد استفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ أي الأكمل منهما .

وقوله : ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ قيل : فيه دليل على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء لما له عليها من فضل القوامة وزيادة الدرجة ، إلا أن يلتزم لها أمراً فالمؤمنون عند شروطهم ، وأحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج ، و كان موسى -عليه السلام- قد اشتاق إلى بلاده وأهله فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه ، فسار بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره ، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة فنزل منزلاً ، فجعل كلما أوري زنده لا يضيء شيئاً فتعجب من ذلك ، فبينما هو كذلك ﴿ أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ أي رأى ناراً تضيء على بعد قريب

من جبل الطور بسيناء ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي رأيت نارًا مشتعلة فانتظروني حتى أذهب إليها ثم أعود إليكم ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ وذلك لأنه قد أضل الطريق فذهب ليسأل أين الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي قطعة منها ، وقيل الجذوة هي قطعة من الخشب تشتعل من طرف دون طرف حتى يتمكن من الإمساك بها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي تستدفئون بها من البرد .

من آيات الله تعالى :

مما كان يؤمله موسى -عليه السلام- أن يرى على النار من الناس من يرشده الطريق ، وعلى أقل تقدير أن يرجع بقطعة من الخشب المشتعل لعلها تكون عوناً له ولأهله على قضاء هذه الليلة الصعبة في حياتهما ، ولكن الأمور المفاجئة غيّرت مسار الحياة تماماً بالنسبة لموسى -عليه السلام- ؛ ومن هذه اللحظة تحولت حياته فأصبح من هذه اللحظة موسى النبي -عليه السلام- فما إن بلغ الشجرة وجد ناراً بالفعل تضطرم في شجرة خضراء في جانب الجبل وهذا على غير العادة ، إذ النار تشتعل في اليابس من الشجر أو الخشب غالباً ، فهذا مما جذب انتباه موسى -عليه السلام- ، فكان للموقف جلاله وعظمته ، وإذا بالنار التي شاهدها تنقلب إلى نور وضياء ويتجلى الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على موسى -عليه السلام- بالنداء والكلام فكان موسى -عليه السلام- بحق كليم الله تعالى في هذا الموقف العظيم .

قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ أي من جانب الوادي مما يلي جبل الطور عن يمينه من ناحية الغرب ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾^(١) فهذا مما يرشد إلى أن موسى -عليه السلام- قصد النار إلى جهة القبلة ، والجبل الغربي عن يمينه ، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي ، فوقف باهتاً في أمرها ، فناداه ربه ﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أي التي باركها

١- سورة القصص (٤٤) .

الله تعالى ؛ وأصل البركة دوام الخير وكثرته ؛ وقوله تعالى : ﴿أَنْ يَمْوِسَّ إِنْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ﴾ أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء ، لا إله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله - ﷻ .

إثبات صفة الكلام لله تعالى :

كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى - ﷺ - كَلَامًا لَا نَعْلَمُ كَيْفَ كَلَّمَهُ وَنَبَتْ ذَلِكَ بِلاَ تَحْرِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَبِلاَ تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ عَلَى قَاعِدَةِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) ، وَأَجْمَعْتَ الْأُمَّةَ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى خَصَّ مُوسَى - ﷺ - وَغَيْرَهُ مِنَ الْمُسْتَطْفِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِكَلَامِهِ فَخَلَصَ مِنْ هَذَا بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى كَلَّمَ مُوسَى - ﷺ - بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ وَهَذَا مَعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ .

برهانان لموسى - ﷺ - :

بعد هذا الحوار العظيم ينبّه الله تعالى موسى - ﷺ - إلى ما يؤكد له حقيقة هذا الحوار ، وأنه الآن في حضرة من يقول للشيء كن فيكون ، فينبّهه - ﷻ - إلى العصا الجامدة التي يعرفها ويألفها فأراه الله تعالى منها آية كانت إحدى معجزاته الباهرات وحججه الدامغات فقال تعالى : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوِسَى﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) (٢) . والمعنى : أما هذه عصاك التي تعرفها ﴿أَلْقِهَا﴾ (٣) أمر من الله تعالى بإلقاء العصا ليبين له أنه يحمل معجزة من أعظم المعجزات ﴿فَالْقَنَآءُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (٤) فعرف وتحقق أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء : كن فيكون .

١- سورة الشورى (١١) .

٢- سورة طه (١٧- ١٨) .

٣- سورة طه (١٩) .

٤- سورة طه (٢٠) .

قال ههنا : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا نَهَزْتُ ﴾ أي تضطرب ﴿ كَأَنهَا جَانٌ ﴾ أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها وقوائمها ، واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها ، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعته ، تنحدر في فيها تتقعقع كأنها حادة في واد ، فلما رآها هكذا ﴿ وَلَىٰ مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي ولم يكن يلتفت لأن طبع البشري ينفر من ذلك ، فلما قال الله تعالى له : ﴿ يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴾ رجع فوقف في مقامه الأول ، ثم قال الله تعالى : ﴿ أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سُوٍّ ﴾ وهذه معجزة أخرى إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ كأنها قطعة قمر في لمعان البرق ، ولهذا قال : ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٍّ ﴾ أي من غير برص .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ من الفزع والرعب وقد أمر - ﷺ - إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهو يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف ، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول عنه ما يجده أو يخف إن شاء الله تعالى . قال مجاهد : كان موسى - ﷺ - قد ملئ قلبه رعباً من فرعون ، فكان إذا رآه قال : اللهم إني أدرك بك في نحره ، وأعوذ بك من شره ، فنزع الله تعالى ما كان في قلب موسى - ﷺ - من خوف وجعله في قلب فرعون .

وقوله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكَ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى ، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ، دليلاً قاطعاً واضحاً على قدرة الفاعل المختار ، وصحة نبوة من جرى هذا الخارق - عن العادة - على يديه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ أي وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ أي خارجين عن طاعة الله تعالى ، مخالفين لأمره ودينه .

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية خروج الرجل بأهله حيث شاء .
- ٢- التزام الإنسان لأهله بتأمين المعيشة .
- ٣- الاشتياق إلى الأهل والوطن جبلة في الإنسان .
- ٤- طلب الخدمة من الآخرين ليس من المسألة المذمومة .
- ٥- إثبات صفة الكلام لله تعالى حيث كلم الله موسى -عليه السلام- تكليماً .
- ٦- من معجزات موسى -عليه السلام- العصا واليد البيضاء .
- ٧- أهمية سياق الأدلة والبراهين تأييداً للرسول عليهم السلام .

القيم المستفادة :

- الوفاء بالعهد .
- تصديق المعجزات .
- حب الوطن .



س ١ : أجب عما يأتي :

١- ما الأجل الذي قضاه موسى -عليه السلام- ؟

.....

.....

٢- ما الذي يستفاد من قوله تعالى : ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ ؟

.....

.....

٣- وضح الأسباب التي دفعت بموسى -عليه السلام- الرجوع إلى مصر :

.....

.....

س ٢ : استخرج من الآيات ما يؤكد المعاني التالية :

١ - رأى موسى -عليه السلام- نارًا فأراد أن يأتي منها بما يعينه على ليلته الشاتية :

.....

.....

٢ - طمأن الله -عز وجل- موسى -عليه السلام- وأزال عنه الخوف وأمنه :

.....

.....

س ٣ : اختر الجواب الصحيح مما بين القوسين :

- ١ - من معجزات موسى - ﷺ - (العصا - الإنجيل - إحياء الموتى)
- ٢ - أرسل الله تعالى موسى - ﷺ - إلى (بابل - فرعون - أهل مدين)
- ٣ - الطور هو (اسم وادٍ - اسم صحراء - اسم جبل)
- ٤ - تصطلون معناها (تحترقون - توقدون - تستدفئون)

رسالة موسى وأخيه هارون عليهما السلام

سورة القصص الآيات من : (٣٣ - ٣٧)

التمهيد :

إن العبد إذا كُلف بعمل لابد أن يهيئ نفسه لاستقبال ما في هذا العمل من مهام جسام ، حتى يتسنى له أن يؤدي عمله بالكيفية التي تتناسب مع العمل الذي أُوسدَ إليه ، وهذا موسى -عليه السلام- يطلب من ربه أن يعينه بالأدوات التي تساعد على دعوته ، وهذه الآيات تفصّل لنا الأمر تفصيلاً عظيماً .

النص

قال تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَهُم مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣٧)

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا	أبين مني قولاً .
رِدْءًا	عوناً .
سَنَشُدُّ عَضُدَكَ	نقويك وندعمك .
سُلْطَنًا	حجة وبرهاناً وقوة .
فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا	بسوء .
سِحْرٌ مُّفْتَرَى	مختلق مكذوب .
عَقِبَةُ الدَّارِ	الخاتمة والنهاية المحمودة في الدار الآخرة .

الشرح الإجمالي :

موسى يتهيأ لتبليغ الرسالة :

بعد أن تهيأ موسى -عليه السلام- لتبليغ الرسالة وأصبح أهلاً لها ، وقد بين الله تعالى له من الآيات ما لم يكن في حسبانته وما ذلك إلا لإشاعة الأمن في حياة موسى -عليه السلام- ، وقد فهم موسى -عليه السلام- ذلك حقاً وصدق بأن الله تعالى مؤيده ومعينه وناصره ، فلما أن توجه الله تعالى إليه بالتكليف إذا به يتقدم ببعض الاعتذارات لاليتخلى عن الرسالة وإنما حباً في زيادة الخير ، وطلبه لتضمين أخيه النبوة ما هو إلا من نزعة حب الخير لديه نحو أخيه بغض النظر عما إذا كان هذا الإنسان تجمع به أخوة نسب أو إخوة دين ، وهذه فعلاً طبيعة الدعاة في طلب الخير لأهلهم وذويهم ولكن الله تعالى يهدي إليه من يشاء .

فأمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون الذي ما خرج من ديار مصر إلا فراراً منه وخوفاً من سطوته .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ﴾ قصد القبطي ، قالها موسى -عليه السلام- لاليعتذر ولا ليتقاعس

ولا لينكص ولكن ليحتاط للدعوة ، ويطمئن إلى مضيها في طريقها لو لقي ما يخاف ، وهو الحرص اللائق بموسى القوي الأمين ﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ أي إذا رأوني من الممكن أن يقتلوني ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ إن هارون أفصح لساناً فهو أقدر على المنافحة عن الدعوة ، وهو ردة له معين ، يقوي دعواه ويخلفه إن قتلوه .

قال : ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴾ (٢٧) ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٢٨) ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ (٢٩) ﴿ هَارُونُ أَخِي ﴾ (٣٠) ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴾ (٣١) ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ (٣٢) ^(١) أي يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم ، وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ، ولهذا قال : ﴿ فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾ أي وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمرى ، ﴿ يُصَدِّقُنِي ﴾ فيما أقوله وأخبر به عن الله - ﷻ - ، ويبيّن لهم عني ما أكلمهم به فإنه يفهم عني ما لا يفهمون ولأن خبر الاثنين أنجع في النفوس من خبر الواحد ، ولهذا قال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ فيما جئتهم به .

الاستجابة والتطمين :

لما سأل موسى - ﷺ - ربه أن يشد عضده بأخيه تلقى موسى - ﷺ - من ربه مباشرة الاستجابة والتطمين ، قال الله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ أي سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكون نبياً معك ، لقد استجاب ربه رجاءه وشد عضده بأخيه . وزاده على ما رجاه البشارة والتطمين كما قال في الآية الأخرى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ (٥٣) ^(٣) ولهذا قال بعض السلف : ليس أحد أعظم منةً على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام ، فإنه شفع فيه حتى جعله الله - ﷻ - نبياً ورسولاً معه إلى فرعون وملئه ، ولهذا قال تعالى في حق موسى - ﷺ - ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ ^(٤) وقوله تعالى : ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا ﴾ فهما لن يذهبا مجردين إلى فرعون الجبار . إنما يذهبان إليه مزودين بحجة قاهرة ، وتمكناً من الدعوة إلى الله تعالى .

١- سورة طه (٢٧-٣٢) .

٢- سورة طه (٣٦) .

٣- سورة مريم (٥٣) .

٤- سورة الأحزاب (٦٩) .

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنًا﴾ أي لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما بسبب إبلاغكما آيات الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . . .﴾^(١) ، ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ﴾ وفي هذا وعد من الله تعالى لموسى -عليه السلام- بالتمكين من العباد والبلاد ، فصار له ولأتباعه الغلبة والظهور كما قال تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢) وفي الآية تبشير لهما وتقوية لقلوبهما .

موسى -عليه السلام- يستجيب لربه :

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ فذهب موسى -عليه السلام- بآيات ربه واضحات الدلالة على صحة رسالته -عليه السلام- من الله -عز وجل- ، والظاهر أن المراد بالآيات العصا واليد إذ هما اللتان أظهرهما موسى -عليه السلام- إذ ذاك ؛ ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ قالوا على وجه الظلم والعلو والعناد : هذا الذي جئت به ماهو ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُقْتَرَى﴾ أي سحر تختلقه لم يفعله أحد من قبلك ، وهذا شأن المحجوج المغلوب إذا أعيته الحجة يلجأ إلى الاتهامات الباطلة دفاعاً عن نفسه .

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ ما جاء به موسى -عليه السلام- من أمر النبوة ، ونفيهم السماع بذلك تعمد للكذب ، فقد جاءهم يوسف -عليه السلام- من قبل بالبينات وما بالعهد من قدم ؛ ويحتمل أنهم أرادوا نفي سماع ادعاء النبوة على وجه الصدق عندهم وكانوا ينكرون أصل النبوات ولا يقولون بصحة شيء منها ويقصدون بقولهم : ﴿فِي آبَاءِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ أي واقعاً في أيامهم ، وأشاروا بوصف آبائهم بالأولين إلى أنه أمر قديم وباطل عتيق .

وهنا رد موسى -عليه السلام- على فرعون بأحسن رد وهو ما أخبره تعالى عنه بقوله ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ مجيباً لفرعون ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ﴾ بالحق منا يا فرعون من المبطل ، ومن سينال العاقبة المحموده في الدار الآخرة ، وهذه معارضة من نبي الله موسى -عليه السلام- لفرعون وجميل مخاطبته ، إذ ترك

١- سورة المائدة (٦٧) .

٢- المجادلة (٢١) .

أن يقول له : بل الذي غرّ قومه وأهلك جنوده ، وأضلّ أتباعه أنت لا أنا ، ولكنه قال : ﴿ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ ثم بالغ في ذمّ عدوّ الله تعالى بأجمل من الخطاب فقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ فصار عاقبة الدار لموسى - عليه السلام - وأتباعه والفلاح والفوز ، وصار لأولئك الخسارة وسوء العاقبة والهلاك .

من هداية الآيات :

- ١- لا مؤاخذه على المرء بسبب خوفه الجبليّ الفطري .
- ٢- الحرص على هداية الخلق وحب الخير لهم .
- ٣- جواز تقديم المفضل على الفاضل .
- ٤- التوكل على الله عاقبته حميدة .
- ٥- فضل تحمل الأذى في سبيل الله تعالى .
- ٦- المحاجة بالأدلة الشرعية عند الحاجة إليها .

القيم المستفادة :

- الاعتذار
- الخوف
- الصبر



س ١ : أجب عن الأسئلة التالية :

١- كيف تهيأ موسى -عليه السلام- للقيام بالدعوة كما أمره ربه -عز وجل- ؟

.....

.....

.....

٢- بين حقيقة اعتذار موسى -عليه السلام- بين يدي ربه -عز وجل- :

.....

.....

.....

٣- قيل أمنّ الناس على أخيه هو موسى على هارون عليهما السلام - وضح ذلك :

.....

.....

.....

س ٢ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- الخوف الذي عناه موسى -عليه السلام- يتنافى مع التوحيد . ()
- ٢- طلب موسى -عليه السلام- النبوة لأخيه لعصية . ()
- ٣- المقصود بالآيات البينات في الآيات العصا واليد البيضاء . ()

التمهيد :

بعد حوار شديد دار بين موسى -عليه السلام- وفرعون إذ بين له موسى -عليه السلام- المهمة التي جاء من أجلها إليه ، فجعل يعرض عليه التوحيد وينخلع به عن الشرك وترك استعباد بني إسرائيل وظلمهم ، وقد أقام عليه الحجة الدامغة بالبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة ، فكان موقف فرعون كعادة المسرفين في الكبر والظلم -وتعمد الانحراف عن الحق والتمسك بالباطل والافتناع به- الإعراض والتمويه وتشويه الحقائق وتزييفها ، فهناك راح يستدر عطف السذج من شعبه المغلوب على أمره حتى جعلهم يقبلون الباطل ويعرضون عن الحق ، وهذه الآيات التالية تؤكد لنا هذه المعاني الجليّة :

النص

قال تعالى :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْفُتُورِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
فَأَوْقَدَ	أشعل .
صَرَخَا	بناءً عاليًا أو قصرًا .
فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ	فألقيناهم في البحر .
الْمَقْبُوحِينَ	المشوهين .
الْقُرُونِ الْأُولَى	الأمم السابقة .
لَعْنَةً	طرد من رحمة الله .
ثَاوِيًا	مقيمًا .

الشرح الإجمالي للآيات :

مبارزة وتحدي :

لا زالت الآيات تكشف لنا عن إعراض فرعون وتعميقه لفكرة الألوهية المزيفة في نفوس الناس من أجل أن يستدر ثقة الناس به ، فطلب مطلبًا بالغًا في الخطورة وأقدم على ما لا يمكن أن يقدم عليه عاقل ، وليست هذه منه بجرأة بقدر ماهي استخفاف بعقول الناس وهذا شأن الظالمين دائمًا في تشويه الحقائق وتزييفها ، فلذلك اتجه نحو مساعدته في تدابير الشر ليكون عونًا له على ذلك وهذه مقابلة في الأحداث ، فهذا موسى -عليه السلام- يستعين بهارون ليكون عونًا له على الدعوة إلى الله -عز وجل- من أجل تعميق الحق في النفوس ، وهذا فرعون يستعين بهامان من أجل الصد عن سبيل الله وإيهام الناس بالباطل على أنه حق وهذه الآيات يخبرنا فيها ربنا -عز وجل- بقوله :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿ فنهنا يخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون عليهما السلام إلى فرعون وملئه ، وعرضهما ما آتاهما الله تعالى من

المعجزات الباهرة والدلالات القاهرة على صدقهما فيما أخبرا عن الله - ﷻ - من توحيده واتباع أوامره ؛ فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوا منه ، وأيقنوا أنه من الله - ﷻ - عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والافتراء وتزييف الحقائق ، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى ﴾ أي : مفتعل مصنوع وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه ، فما نفع معهم ذلك .

فأخبر - ﷻ - عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعوى الإلهوية لنفسه ، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالآلوهية فأجابوه إلى ذلك بقلّة عقولهم وسخافة أذهانهم ؛ ولهذا قال : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ، وقال تعالى إخباراً عنه : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى (٢٦) ﴾ (١) يعني : أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصَرِّحاً لهم بذلك ، فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه ، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة ، وحتى إنه واجه موسى الكليم بذلك فقال : ﴿ لَئِن أُتِّخِذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ أي : أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين ، ليتخذ له أجراً يعني طوباً يحمي عليه في النار ليكون قوياً في البناء لبناء الصرح ، وهو القصر المنيف الرفيع - كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ (٣٧) (٣) .

١- سورة النازعات (٢٣-٢٦) .

٢- سورة الشعراء (٢٩) .

٣- سورة غافر (٣٦-٣٧) .

صرح فرعون :

وبالفعل بني لفرعون صرح وهو عبارة عن بناء عال ومرتفع في السماء لم يُر في الدنيا بناء أعلى منه - يعني في أهل زمانه - إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى - ﷺ - فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون ؛ ولهذا قال : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي : إنه أراد أن يوهم الناس أنه لا إله غيره ، فمن أين جاء موسى بهذا الكلام ويدعي أن هناك إله غير فرعون ، وكأنه يريد إشراك الناس في القضية ليواجهوا موسى - ﷺ - مع فرعون بالتكذيب والإنكار ليشتد أزره بهم ، ولذلك قال : ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) لأنه كان ينكر وجود الله تعالى عامداً متعمداً فلم يجد حيلة ولا وسيلة إلا استخدام العنف والتهديد ، وهذا شأن الظالمين إذا أقيمت عليهم الحجة يلجئون إلى العنف والتهديد ولذلك صرح قائلاً :

﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(٢) ثم التفت إلى الناس وهو في حالة من الهيجان والغليان مخاطباً إياهم وهو يعلم أنه لا يجروء أحد على رده فقال : ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ .

عقاب وعذاب :

وقوله تعالى : ﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ أي : طغوا وتجبروا وأكثروا في الأرض الفساد واعتقدوا أنه لا معاد ولا قيامة .

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾^(٣) ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٤) ، ولهذا قال ها هنا : ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي : أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ إنها كانت وبالاً عليهم وخسارة لهم .

١- سورة الشعراء (٢٣) .

٢- سورة الشعراء (٢٩) .

٣- سورة الفجر (١٣-١٤) .

قادة الكفر أئمة الضلال :

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ أي جعلنا فرعون وملأه قادة في الكفر لمن سلك سبيلهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْكَارِ﴾ بالكفر والشرك والمعاصي وهي موجبات النار ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ بل يضاعف لهم العذاب ويجتمع عليهم خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَآ﴾ ، خزيّاً وعذاباً تمثل في غرقهم وخسرانهم التام ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ، من الملعونين المبعدين من رحمة الله تعالى ، المشوهة خلقتهم . قال أبو عبيدة : من المهلكين . وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ، يقال : قبحه الله ، وقبحه : إذا جعله قبيحاً ، ويقال : قبحه قبحاً ، وقبوحاً ، إذا أبعد من كل خير .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ أي التوراة وذلك بعد إهلاك الظالمين ، والقرون الأولى يعني : قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى - عليه السلام - ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ ، أي : ليصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به ، ﴿وَهَدَى﴾ ، من الضلالة لمن عمل به ، ﴿وَرَحْمَةً﴾ ، لمن آمن به ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ، بما فيه من المواعظ والبصائر .

ثم شرع الله تعالى في بيان المنة العظيمة على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته بإنزاله القرآن وبرسالته ؛ فقال تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ، ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ ، يعني : بجانب الجبل الغربي ؛ قال ابن عباس - رضي الله عنه - : يريد حيث ناجى موسى ربه ، ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ ، يعني عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه ، ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ، الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك .

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ ، ولكننا خلقنا أمماً بعد موسى - عليه السلام - ، ﴿فَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ ، أي : طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله تعالى وتركوا أمره ، وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد - صلى الله عليه وسلم - والإيمان به ، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون

بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها . ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ ، مقيماً ، ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَن﴾ ، كمقام موسى وشعيب فيهم ، ﴿تَنَلُّوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ ، تذكرهم بالوعد والوعيد ، قال مقاتل : يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ، وهذا يستدل به على نبوة محمد - ﷺ - ، إذ يحمل لنا هذه الأخبار وليس هناك من يعرفها متى وقعت كما عرفها محمد - ﷺ - عن طريق الوحي ، وكذلك لا تتم المعرفة الحقة إلا بالرسالة فلذلك قال تعالى : ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ، أي : أرسلناك رسولاً وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار ، فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها .

من هداية الآيات :

- ١- بيان عجز فرعون في مجابهة موسى - ﷺ - .
- ٢- استخفاف فرعون بقومه وإيهامهم أنه قادر على مواجهة رب موسى - ﷺ - .
- ٣- بيان استعلاء فرعون في الأرض بغير الحق .
- ٤- هلاك الظالمين عبرة وعظة .
- ٥- الجزاء من جنس العمل .
- ٦- بيان أن لعنة الله على الكافرين في الدنيا والآخرة .

القيم المستفادة :

- بغض الكفر .
- التواضع لله تعالى .
- الاعتبار بالسابقين .



س ١ : أجب عما يأتي :

١- علم فرعون أن ما جاء به موسى - ﷺ - هو الحق ولكنه كفر وأعرض - فما سبب ذلك ؟

.....

٢- علام يدل قول فرعون لقومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ؟

.....

٣- ما الوسيلة التي لجأ إليها فرعون وملؤه لتكذيب موسى وهارون عليهما السلام ؟

.....

٤- ما المراد بالقرون الأولى ؟

.....

س ٢ : استخرج من الآيات ما يدل على المعنى التالي :

- أمام إصرار فرعون وقومه على الكفر والإعراض جعلهم الله عنواناً للضلال والزيغ عن أمر الله تعالى .

.....

س ٣ : صحح ما تحته خط في العبارات التالية :

- ١- ادعى فرعون النبوة . ()
- ٢- أنكر فرعون وجود الله تعالى جهلاً منه . ()
- ٣- في قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ تعني الذاكرين . ()

حاجة الأمم إلى الرسل والرسالات

سورة القصص الآيات من (٤٦ - ٥١)

تمهيد :

ترتكز دعوة النبي - ﷺ - على أصليين عظيمين هما :

الأصل الأول : تقرير العقيدة وتأصيلها في النفوس ، وترسيخها في قلب من أراد الله تعالى هدايته .

الأصل الثاني : الرد على من اعترض على الدعوة وكشف شبهاته حولها .

والأصل الثاني يخدم الأصل الأول ويعضده ويمحي عنه كل ما من شأنه تشويه الدعوة ؛ وأيضاً ينير بذلك دروب السائرين إلى الله تعالى وقلوبهم مطمئنة وصدورهم منسرحة .

ثم اعلم - وفقك الله - عندما تقرأ في كتاب الله تعالى ما ذكره من مقالات الكافرين من يهودٍ ونصارى ومشركين ومنافقين ، وما رد الله به عليهم أنك تتعلم شيئاً مهماً وهو ذكر الحقائق بالأدلة الدامغة والحجج الباهرة التي لا تُبقي لأي معترض أدنى شك ، متى ما سلم من الهوى الذي يعمي ويصم ويهوي بصاحبه إلى دركات الغي والضلال .

والبشرية لا تسعد أبداً إلا إذا أشرقت عليها شمس الرسالات وأنارت لها سبل الخير الموصلة إلى الله تعالى ، إذ الحاجة إليها حاجتهم إلى الطعام والشراب والنفس .

النص

قال تعالى :

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ لَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
بِجَانِبِ الطُّورِ	الطور هو الجبل ، والمراد به طور سيناء الذي كلم الله - ﷻ - عنده نبيه موسى - ﷺ - .
لِتُنذِرَ قَوْمًا	الإذارا التخويف والتحذير ، والمراد بالقوم هم العرب وأخصهم أهل مكة .
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ	يتعظون .
مُصِيبَةٌ	عقوبة ونقمة .
تَظَاهَرَا	تعاونوا وتناصرا ، والتظاهر : التعاون والتناصر .
أَهْوَاءَهُمْ	جمع هوى وهو الرأي الزائف والاستحسان الزائف بلا حجة ولا برهان .
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	لا يوفقهم لإصابة الحق . والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، وأعظمه الشرك بالله .
وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ	فصلناه وبيناه وأتمناه ، والقول هو القرآن بما أخبر الله به من قصص الأولين .

الشرح الإجمالي للآيات :

برهان ساطع :

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أي : وما كنت يا نبي الله بجانب الطور ، وهو الجبل الذي كلم الله عنده نبيه موسى - ﷺ - حينما ناداه وكلفه بالرسالة ، وأمره بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الله تعالى ، فأنت يا «محمد» - ﷺ - لم تر أحوالهم ولكننا أوحيناها إليك وقصصناها عليك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ودليلاً على نبوتك حتى يتذكر من يتذكرو ويتعظ من يتعظ فيدخل في دين الله تعالى وينجو من عذاب النار

وإعراب ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول لأجله ، أي فعلنا ذلك للرحمة .

ثم بين الله تعالى الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ وهم العرب و أخصهم أهل مكة ﴿مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ما بعث الله تعالى فيهم من رسول يخوفهم عذاب الله تعالى من قبلك ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لعلهم يتعظون ويهتدون ويعتبرون .

انقطاع العذر ببعثة الرسل - عليهم السلام - :

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ من مصائب الدنيا من مرض أو فقد قريب أو مال أو صاعقة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معنى الآية : أننا لو عذبناهم لقالوا لم يرسل الله تعالى إلينا رسولاً ؛ ويظنون أن ذلك عذر لهم ولا عذر لهم بعد أن بلغت أخبار الرسل ؛ ولكننا أكملنا الحجة وأزحنا العلة وأتممنا البيان بإرسالك يا «محمد» - ﷺ - إليهم . وخص الأيدي بالذكر لأن الغالب من الكسب إنما يقع بها .

لولا الأولى : امتناعية جوابها محذوف تقديره : لما أرسلناك إليهم رسولاً أو لعاجلناهم بالعقوبة .

ولولا الثانية : بمعنى هلاً للتحضيض .

مرء ظاهر ولجاجة عمياء :

يخبر الله -ﷻ- عن حال أولئك القوم أنهم لما جاءهم النبي -ﷺ- بالحق من عند ربّه -ﷻ- قالوا مقولةً تدل على تعنت وعناد وكفر وجهل وإلحاد ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِثْلَ مَا أُنْزِلَ لِمُوسَى ﴾ -ﷺ- وسمي الحق حقاً لثباته وقوته ، و الفاء في قوله ﴿ فَلَمَّا ﴾ هي الفاء الفصيحة أفصحت عن جواب طلبهم ﴿ لَوْلَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ يقول هؤلاء هلاً أعطى محمد -ﷺ- مثل ما أعطي موسى -ﷺ- التوراة جملة واحدة أو من المعجزات الآيات الباهرات كالعصا واليد . قال بعضُ المفسرين : إن اليهود أمرت المشركين أن تقول هذا لمحمد -ﷺ- .

فردّ الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾ أي أولم يكفر من كفر في زمن موسى -ﷺ- بما أُعطي موسى -ﷺ- من الآيات من قبل ذلك ، ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ أي التوراة والقرآن هما من قبيل السحر الذي جاء به موسى ومحمد عليهما السلام ﴿ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كِفْرٍ ﴾ أي بكل كتاب من عند الله تعالى هم كافرون به جاحدون له منكرون .

وَقُرئ ﴿ سِحْرَانِ ﴾ والمراد بهما موسى ومحمد -عليهما السلام- كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وقوى ابن كثير -رحمهما الله- قول سعيد بن جبير أنهما موسى وهارون -عليهما السلام- .

ثم أمر الله -ﷻ- نبيه -ﷺ- أن يرد عليهم بقوله : ﴿ قُلْ فَاتَّبِعُونِي يَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي : إن لم يكن يعجبكم القرآن ولا التوراة فاتوا من كتب الله التي عندكم حتى أتبعه إن كنتم صادقين في دعواكم . قال ابن كثير -رحمهما الله- : وقد عُلم بالضرورة أن الله تعالى لم ينزل كتاباً من السماء أكمل ولا أشمل ولا أعظم ولا أفصح من القرآن الذي أنزله على محمد -ﷺ- وبعده في الشرف والعظمة التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى -ﷺ- وأما الإنجيل فجاء متمماً للتوراة .

الهوى يعمي ويصم :

ذكر الله - ﷻ - سبب كفرهم وعنادهم وكان ما يتبعونه من آراء قلوبهم وما يستحسنونه من أقوالهم وما حبه إليهم الشيطان ؛ فلا برهان لهم ولا حجة ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فإذا لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي لا أحد أضل منه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي لا يوفقهم إلى الحق ولا يوصلهم إلى الخير وذلك جزاء عنادهم وطغيانهم .

وفي هذه الآية التحذير من اتباع الهوى إذ هو يعمي عن الطريق القويم والصراط المستقيم ، وقد استعاذ النبي - ﷺ - منه كما في دعائه : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَنكَرَاتِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ»^(١) . والهوى هو ميل النفس إلى ما تستلذه من شهوات وما تستحسنه من شبهات . قال الحسن - رحمه الله - : «الهوى شر داءٍ خالط قلباً» وقال الشعبي : «سُمِّيَ الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه إلى النار» وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : «ما ذكر الله الهوى في القرآن إلا ذمّه» وقال أيضاً : «الهوى إله يعبد من دون الله» ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾^(٢) قال الحسن : هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه .

ومن عظيم آثار مخالفة الهوى ما قاله ابن القيم - رحمه الله - : «ومخالفة الهوى تورث العبد قوة في قلبه ولسانه وبدنه» .

مواعظ وزواجر :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ لقد بينا لهم وفصلنا وأتبعنا في هذا القرآن العظيم المواعظ والزواجر ليتعظوا ويتذكروا بما فيه ، فالقرآن فيه الوعد والوعيد والقصص والعبر والنصائح والتوجيهات ، حتى يتعظوا ويتركوا ما هم عليه من الكفر والعناد لئلا يصيبهم العذاب .

١- رواه الترمذي .

٢- سورة الفرقان (٤٣) .

من هداية الآيات :

- ١- بيان رحمة الله تعالى بعباده أن بعث إليهم رسولا يهديهم إلى صراطه المستقيم .
- ٢- الدليل القاطع والبرهان الساطع على نبوة محمد - ﷺ - .
- ٣- من حكم الرسائل الرحمة وإقامة الحجة حيث ينقطع العذر .
- ٤- وضوح العقيدة وقوة الدليل .
- ٥- لا يحيد عن العلم والعمل إلا من اتبع هواه .
- ٦- نبينا - ﷺ - لا يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله تعالى .
- ٧- القرآن الكريم كتاب هداية وتذكرة .
- ٨- التحذير من اتباع الهوى .
- ٩- بيان تحدي المشركين بإتيانهم بكتاب من عند الله وعجزهم عن ذلك .
- ١٠- مصدر تلقي العقائد الوحي .

القيم المستفادة :

- حب الله تعالى ورسوله - ﷺ - .
- بغضُ الشرك وأهله .
- مخالفة الهوى .



س ١ :وضح معاني الكلمات الآتية :

الكلمة	معناها
الْطُّورِ	
إِشْنِذِرَ قَوْمًا	
يَتَذَكَّرُونَ	
مُصِيبَةٌ	
تَظَاهَرَا	
وَصَّلْنَا	

س ٢ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- الهوى منه ما هو مذموم ومنه ما هو ممدوح . ()
- ٢- كلمة ﴿لَوْلَا﴾ ليس لها إلا معنى واحداً . ()
- ٣- المراد بقوله : ﴿سِحْرَانِ﴾ موسى ومحمد كما قوّاه ابن كثير . ()
- ٤- كتاب الله الإنجيل جاء متمماً للتوراة . ()

س ٣ : ماذا نستفيد من عرض القرآن لأقوال الكافرين والرد عليها؟

.....

س ٤ : من أمر المشركين أن يقولوا ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ ؟

س ٥ : علل لما يأتي :

١- إرسال الله الرسل وإنزال الكتب :

٢- تسمية الهوى بهذا الاسم :

س ٦ : اختر الإجابة الصحيحة بوضع خط تحتها :

١- نوع الفاء في قوله ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ :

(تقريرية - فصيحة - سببية) .

٢- إعراب ﴿رَحْمَةً﴾ في قوله ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ :

(مفعول مطلق - مفعول لأجله - مفعول فيه) .

تمهيد :

يوم القيامة لا ينتفع أحدٌ إلا بما قدم من الأعمال الصالحة ، فلا يغني أحد عن أحد ولا تنفع القربات ولا الصلوات ؛ إنما ينفع المرء إيمانهُ وعمله الصالح فهو مصدر سعادته وسر نجاته في الدنيا والآخرة ؛ ومذح الله - ﷻ - ليس إلا لأولئك الذين تحلّوا بصفاتٍ يحبها الله ويرضاها ولهذا ضاعف الله لهم المثوبة وعظم لهم الأجر .

فلا حياة لهذه الأمة أفراداً وجماعات إلا باتباع منهج الله الذي رضيهم لهم على السنة رسله وإلا فالدمار عليهم . والآيات الكريمات التي معنا تشير إلى هذه المعاني العظيمة .

النص

قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۖ وَإِذَا بُنِيَ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبِالْحَسَنَةِ الَّتِي سَبَّحُوا بِهَا رُزْقَهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا بُنْيَ الْجَاهِلِينَ ۝٥٥ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ أَهْلُ الدِّيَارِ مَعَكَ نَحْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ قَبْلِكَ بَطَرْتَ مَعِيشَتَهَا فَنَلَاكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝٥٩ وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٠ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٦١ ﴾

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ	الذين آمنوا بالتوراة والإنجيل من أهل الكتاب .
إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ	منقادين خاضعين مستجيبين لله .
وَيَذَرُونِ	يدفعون ، درأت الشيء أي دفعته ، والدرء : الدفع .
اللَّغْوِ	ما لا يعتد به من القول ، والمراد به : الأذى والاستهزاء والسخرية ونحو ذلك .
أَعْرَضُوا عَنْهُ	تركوه وصدوا عنه ، والإعراض : الترك .
لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ	لا نريد أن نكون من أهل السفه والجهل .
نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا	نتزع منها بسرعة . والمراد به : الإخراج من البلاد .
أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا	فجعل مكانهم حرماً ذا أمن .
يُجْبَىٰ إِلَيْهِ	يجمع إليه ، يقال : جبى الماء في الحوض ، أي : جمعه ، والجبابة الحوض العظيم .
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا	بغت و تجبرت ولم تحفظ حق الله تعالى .
وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ	الباقي بعد هلاك خلقه وإليه يرجع كل شيء .
يَبْعَثُ	يرسل .
فِي أُمِّهَا	أكبرها وأعظمها وهي « عاصمتها » .
فَمَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا	ما تتمتعون به في الحياة الدنيا وتزينون به فيها من الأموال والأولاد وغير ذلك .
مِنَ الْمُحْضَرِينَ	الذين يحضرون للعذاب .

أسباب النزول :

• قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ .

قال سعيد بن جبیر - رحمته الله - : نزلت هذه الآية في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي إلى

النبي - صلوات الله عليه - فلما قدموا عليه قرأ عليهم ﴿يَسَّ ١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾^(١) حتى ختمها فجعلوا

يبكون وأسلموا .

١- سورة يس (١-٢) .

• قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ .

في الصحيحين من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله - ﷺ - فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله - ﷺ - : «يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله - ﷺ - يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله - ﷺ - : «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ ^(١) وأنزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

الشرح الإجمالي للآيات :

مؤمنو أهل الكتاب والصفات العظيمة :

يخبر الله - ﷻ - في هذه الآيات الكريمة عمن آمن من اليهود والنصارى بالتوراة والإنجيل قبل أن يُنزل القرآن وقبل أن يُبعث النبي - ﷺ - بأنهم يؤمنون بالقرآن الكريم وأنه من عند الله ، فهو متطابق لما معهم خرج من مشكاة واحدة ومن معين واحد ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ ﴾ أي : التوراة والإنجيل ، والجملة في محل رفع مبتدأ ؛ ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي : من قبل أن يُنزل القرآن ، لم يبدلوا ولم يغيروا بل آمنوا بهذا الكتاب وهذا النبي - ﷺ - وإيمان أولئك من أعظم الآيات والدلائل على صحته وأنه من عند الله .

ثم ذكر الله - ﷻ - شيئاً من أوصافهم العظيمة ﴿ وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ وإذا قرئ عليهم القرآن قالوا صدقنا بأنه نزل من عند ربنا حقاً ، وقد كنا قبل نزوله مصدقين به لأننا وجدنا في كتبنا نعت محمد - ﷺ - ونعت كتابه . والتلاوة تتضمن الاستماع والإنصات المثمر للقبول والعمل .

ثم بين الله تعالى جزاءهم على إيمانهم بهذا القرآن بعد إيمانهم بما سبقه من الكتب بقوله ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي : يُعطون ثواب عملهم مرتين ؛ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن ، وذلك لصبرهم وثباتهم ؛ الصبر على الإسلام الخالص إسلام القلب والوجه ، إسلام مغالبة الهوى والشهوة ، إسلام الاستقامة على الدين .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها» .

والصبر هو حبس النفس على طاعة الله وحبس النفس عن معصية الله وحبس النفس على أقدار الله المؤلمة ، وهو بهذا التعريف يجمع أقسام الصبر الثلاثة .

ثم قال الله - عز وجل - : ﴿وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي : يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم بالصفح والعفو عنه ، أو أنهم يتبعون السيئة الحسنة فيمحوها الله تعالى ، وعلى هذين المعنيين قد جمعوا مكارم الأخلاق .

ومن عظيم أوصافهم قوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي : ينفقون مما أعطاهم الله من فضله من المال الحلال في النفقات الواجبة والمستحبة والزكاة المفروضة . قال أهل العلم : هذا الإنفاق عام في المال والعلم إن كل ذلك من رزق الله .

ثم قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ﴾ أي : إذا سمعوا ما لا ينفع في دين ولا دنيا من السب والشتائم وتكذيب الرسول أعرضوا عن قائله ولم يخالطوهم ، وإذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا ينبغي رده من القول لم يقابلوه بمثله إذ لا يصدر منهم إلا طيب الكلام .

﴿لَنَا أَعْمَلُنَا﴾ أي : عند الله ثاب عليها ولا تثابون أتم عليها ، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ لا يُطالب بشيء منها فنحن لا نشغل أنفسنا بالرد عليكم ، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام متاركة وتوديع لا سلام تحية ﴿لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ﴾ لا نريد طريقته ولا نحب مخالطتهم بل نتبرأ منهم ومن أعمالهم .

الهداية بيد الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(١)
بعد أن أبان الله تعالى أن من أهل الكتاب من آمن به وبما جاء به من الهدى والبيّنات ، بعد أن سمعوا أخباره ورمّت إلى مسامعهم فضائله وشمائله ، أراد الله في هذه الآية أن يُسلّي نبيه إذ أحزنه صدور قومه الذي أحبّ هدايتهم وحرص عليها ؛ والآية فيها تعريض لقومه بأن من هم أجانب عنه آمنوا به فأنتم أولى منهم بالإيمان به ، ولكن الله يهدي من يشاء .
وهذه الآية نزلت في عمه أبي طالب كما استفاضت الأخبار بذلك ، وهي دليل على أنه لم يؤمن ومات على ملة عبد المطلب .

ومعنى الآية : أنك يا نبيّنا لا تستطيع أن تهدي من أحببت من قومك أو من غيرهم هدى يوصلهم إلى الله بل الهداية يملكها الله لا تملكها أنت ، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ فهو - ﷺ - أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية . وفي الآية إشارة إلى أن العبد هو الذي يسعى إلى ما فيه هدايته ونجاته .

ثم اعلم - وفقك الله - أن الهداية في القرآن هدايتان : هداية دعوة وإرشاد إلى طريق الخير ؛ فهذه أثبتها الله لنبيه - ﷺ - ولأتباعه كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) وهداية توفيق وإلهام وشرح صدر بأن يقذف الله نوراً في قلب من أراد هدايته فيحيى به كما قال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾^(٢) .

تفنيد شبهة :

يخبر الله - ﷻ - عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا الرسول الله - ﷺ - : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ أي : نخشى أن يصيبنا الأذى والمحاربة من حولنا من أحياء العرب وقبائلها ويتخطفونا أينما كنا ، فأجاب الله - ﷻ - بقوله ﴿ أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ ﴾

١- سورة الشورى (٥٢) .

٢- سورة الأنعام (١٢٢) .

حَرَمًا آمِنًا ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْهُمْ فِي مَكَانٍ آمِنٍ وَبِلَدٍ آمِنٍ وَحَرَمٍ مُعَظَمٍ ﴿ يُجِبُّ إِلَيْهِ ﴾ يَجْمَعُ إِلَيْهِ ﴿ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي : من سائر البلاد والأمصار ، وكذلك المتاجر والأمتعة ﴿ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ أي : من عندنا ، وهذا فيه تهيج لشكر الله على هذه النعمة العظيمة ، والله - ﷻ - هو الذي يُخْشَى وَيُتَّقَى لا سواه من المخلوقين ، ولهذا قال : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وذلك لجهلهم بأسباب سعادتهم في الدنيا والآخرة .

سبب هلاك الأمم :

يقول الله تعالى معرّضاً بأهل مكة بقوله : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ أي : كثير من القرى طغت وبغت وكفرت بأنعم الله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَئِكَ مَسَكْنُكُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ حيث خرب الله ديارهم وأصبحت خاوية لم يعمر منها إلا أقلها وصار أكثرها خراباً . ﴿ وَكَمْ ﴾ هنا للتكثير ، ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ لهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ما يتصرفون فيه ، والشيء إذا لم يبق له مالك معين قيل إنه ميراث الله لأنه هو الباقي بعد خلقه . ثم ذكر الله - ﷻ - عن عدله وأنه لا يهلك أحداً إلا بعد الإنذار وقيام الحجة بإرسال الرسل ، إذ من سنة الله - ﷻ - أن لا يهلك القرى حتى يبعث في أكبرها وأعظمها رسولاً يتلو عليهم الآيات الناطقة بالحق يدعوهم بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى ، وهنا فائدة : أنه ينبغي للداعي إلى الله أن يتحرى مجامع الناس الكبار لدعوته كما كان النبي - ﷺ - لما كان يتحين موسم الحج لعرض الدعوة على قبائل العرب ، وكما هاجر إلى الطائف لدعوتهم إلى التوحيد . ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا ﴾ ثم ختم الله - ﷻ - هذه الآية بقوله ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ أي : ولم يكن في سنة الله تعالى في عباده أن يهلك القرى إلا بعد ظلم أهلها . وظلم أهل القرى يكون بإظهار الباطل والمنكر وإشاعة الشرِّ والفساد في البلاد .

حقيقة الحياة الدنيا :

يقول الله تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعدّه الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم ؛ وسميت الدنيا بهذا الاسم لدنوها من الزوال أو لدناءتها ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا يعقل من يُقدِّم الدنيا على الآخرة ؟ ! ، وفي مثل هذه الآيات يقول الله -عزَّ وجلَّ- : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ^(١) ويقول -عزَّ وجلَّ- : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ^(١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ^(١٧) ^(٢) .

ومن أجمل ما قاله الإمام الشافعي شعراً :

طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا	إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنًا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا	أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ سَكْنًا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا	صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنًا

وقد تواتر عن جمع من السلف الصالح أن حُبَّ الدنيا رأس الخطايا وأصلِّ البلايا .

لا يستويان :

قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ .

يخبر الله -عزَّ وجلَّ- عن المؤمن المصدِّق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة ، أيستوي هذا ومن هو كافر مكذب بقاء الله وبوعده ووعيده فهو متمتع في الحياة الدنيا أياماً قلائل ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ وهو من الذين يُحضرون للعذاب ؟ ، فالجواب : لا . لا يستويان أبداً .

١- سورة النحل (٩٦) .

٢- سورة الأعلى (١٦-١٧) .

لا يستويان في الحياة الدنيا فمن عمل صالحاً فهو في حياة طيبة ومن صدّ فإن له معيشة ضنكاً ، وفي القبر فهذا منعم فسيح قبره منور له فيه ويرى مقعده من الجنة وهذا معذب ضيق عليه قبره مظلم ويرى مقعده من النار ؛ وفي يوم القيامة ذاك آمن مطمئن أخذ كتابه بيمينه ثم إلى الجنة دار السلام وذاك فزع وجل أخذ كتابه بشماله ثم إلى النار دار الجحيم والعذاب .

هداية الآيات :

- ١- من أهل الكتاب من آمن بنبينا - ﷺ - فاستحق بذلك موعود الله تعالى له .
- ٢- فضل أهل الإسلام حيث أن أجورهم مضاعفة بإيمانهم بالنبي - ﷺ - وبالأنباء قبله .
- ٣- مضرّة مخالطة أهل السوء وأنها مؤثرة على قلب المرء وعمله .
- ٤- الصبر والسماحة والإحسان إلى الخلق من أعظم أوصاف المسلم التي ينال بها أعظم الأجور .
- ٥- هداية التوفيق والإلهام لا يملكها إلا الله - ﷻ - ، وله في ذلك الحكمة البالغة .
- ٦- الإشارة إلى ما منّ الله به على قريشٍ حيث أنهم أهل حرم الله تعالى .
- ٧- التنويه بفضل بلد الله الحرام مكة المكرمة .
- ٨- المعاصي والذنوب والظلم سبب لهلاك الأمم .

القيم المستفادة :

- حب الطاعة .
- بغض المعصية .
- الاستجابة للخير .



س ١ : لماذا ضعف أجر من آمن بالنبي - ﷺ - من أهل الكتاب؟

.....

.....

س ٢ : ما أقسام الهداية في كتاب الله تعالى ؟

.....

.....

س ٣ : أكمل العبارات الآتية بما يناسبها :

- ١- تتضمن التلاوة المشرل
- ٢- نوع ﴿ وَكَمْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾
- ٣- ينقسم الصبر إلى صبر على و و

س ٤ : علل لما يأتي :

- تسمية الدنيا بهذا الاسم :

.....

.....

.....

من مشاهد يوم القيامة

سورة القصص الآيات من (٦٢ - ٦٧)

تمهيد :

ذكر الله - ﷻ - في كتابه العزيز شيئاً عظيماً من أهوال وأحوال يوم القيامة وافتراق الناس فيه إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ، و شيئاً من حال الأشقياء وتخاصمهم وتلاومهم وتبرؤ المتبوعين من الأتباع ، ونوّه بفلاح من تاب وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ، والاستعداد لهذا اليوم بما فيه فلاحه ونجاته لاشك يشمر في عقيدة المؤمن .

النص

قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ٦٢ ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ ٦٣ ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ ٦٤ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٦٥ ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ٦٦ ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ ٦٧ ﴿

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
تَزْعُمُونَ	تدّعون ؛ والزعم حكاية قول مظنة للكذب .
حَقَّ عَلَيْهِمْ	ثبت ووجب .
تَبَرَّأْنَا	صاروا أعداء لهم .
الْقَوْلُ	المراد به هنا العذاب .
غَوَيْنَا	أضللنا وذلك بدعوتهم إلى الغي والضلال .
فَعَمِيتْ	خفيت .
الْأَنْبَاءُ	الأخبار والمراد الحجج والبراهين .
الْمُفْلِحِينَ	الفائزين .

الشرح الإجمالي للآيات :

موقف عظيم وخطب جلل :

يخبر الله تعالى عما يوبّخ به الكفار يوم القيامة حيث يناديهم ، والنداء هنا للتوبيخ والتقريع والتأنيب : ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ ﴾ أي اذكر حال المشركين حين يناديهم الله مقررًا موبخًا ﴿ فَيَقُولُ أَتَنْ شُرَكَاءِي ﴾ من الآلهة والأنداد التي كانوا يعبدونها مع الله تعالى ﴿ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم لي شركاء أو أنهم ينفعونكم أو ينصرونكم أو يشفعون لكم ؛ أين هم ادعوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه من العذاب ؟ !!

﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ قال الذين وجب عليهم العذاب وهم الشياطين وأولياؤهم من الجن والإنس من دعاة الضلال وأنصار الباطل ؛ هؤلاء الذين أضللنا ، أضللناهم كما ضللنا و تبرأنا إليك من ولايتهم ونصرتهم ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويجرون وراء شهواتهم فهم مؤخذون بإجرامهم .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ وقيل للمشركين على سبيل السخرية والتهكم : ﴿ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ لإنقاذكم من العذاب وليدفعوا عنكم نقمة الله عليكم ، فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ولم يغيثوهم وهم يعلمون أنهم لا يسمعون ولا يجيبون ولكن الإذلال لهم والإهانة ؛ وحينئذ يتمنون أنهم لو كانوا في الدنيا مهتدين حتى لا يصيروا إلى هذا العذاب ولكن هيهات فقد فات الأوان وهم اليوم في الذل والهوان .

وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف تقديره : لما عذبوا . والاهتداء لا يحصل إلا بقبول ما جاءت به الرسل والانقياد له والعمل بطاعة الله .

ثم يتنقلون من توبيخ إلى توبيخ إذ يناديهم الله تعالى موبخاً : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ هل آمنتكم بهم أم أعرضتم وزدتم أن سخرتم واستهزأتم ؟ . . . وفي هذه الآية بيان أن الأمم ممتحنة برسلها ؛ فمن آمن واتبع ما جاءت به الرسل فهو الآمن من عذاب الله تعالى .

وفي الآية أيضاً إبطالٌ للتقليد الأعمى المجرد من كل الأدلة والبراهين الشرعية . قال ابن القيم رحمه الله : « فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتكم المرسلين ؟ فجواب الأولى بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً ؛ وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعةً » .

ثم بين الله تعالى حالهم لما سُئلوا عن ماذا أجابوا المرسلين : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ حاروا في الجواب ؛ وأظلمت عليهم الأمور وانعقدت ألسنتهم ولا يسأل بعضهم بعضاً من شدة الدهشة والحيرة .

والأنباء هي الحجج والأخبار ولكن سَمَّى الله حججهم أخباراً لأنها لم تكن في الحقيقة حججاً إنما حكايات ومزاعم .

ولما عمووا عن الحق في الدنيا أعماهم الله يوم القيامة إذجزاء من جنس العمل ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ^(١) .

فلاح العبد بإيمانه وعمله الصالح :

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ بين الله تعالى أن لا فلاح للعبد إلا إذا تاب من كفره ومعاصيه وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ، فعسى أن يكون من الفائزين برضوان الله تعالى وجنات النعيم . وكلمة ﴿ فَعَسَى ﴾ من الله تفيد التحقيق أي يكون حقاً من المفلحين ؛ والفلاح : كلمة جامعة لنيل المطلوب والسلامة من المرهوب .

ثم اعلم وفقك الله أن التوبة إلى الله هي الرجوع إليه بالإيمان والعمل الصالح وترك الذنوب جميعاً ، والإقبال على الله والدار الآخرة ؛ ولا يعينك عليها إلا إذا آمنت بالله حقاً وصدقاً وأخلصت له العبادة وتقرّبت إليه بأنواع من الأعمال الصالحات التي تنال بها رفيع الدرجات ؛ فيها فلاحك ونجاحك في الدنيا والآخرة .

والعمل لا يكون صالحاً إلا إذا توفّر فيه الإخلاص لله تعالى والمتابعة للنبي - ﷺ - .

من هداية الآيات :

- ١- بيان شيء من أهوال يوم القيامة وتحقق وقوعه .
- ٢- براءة رؤوس الضلال من أتباعهم يوم القيامة يبيّن دحوض حججهم وضعف مسلكهم .
- ٣- ذكر أدلة التوحيد وبطلان الشرك .
- ٤- وضوح الأدلة والبراهين وسطوعها في بيان الحق والدعوة إليه .
- ٥- من لوازم الإيمان والتوبة العمل الصالح .
- ٦- التوبة والإيمان والعمل الصالح أصل الفلاح في الدنيا والآخرة .

القيم المستفادة :

- الخوف من الله تعالى .
- تعظيم اليوم الآخر .
- التوبة .



س ١ : ما أثر الإيمان باليوم الآخر على قلبك وعملك؟

.....

.....

س ٢ : ما القيم المستفادة من هذا الدرس ؟

.....

.....

س ٣ : صحح ما تحته خط :

- ١- العمل الصالح أن ترجع إلى الله تعالى وتترك الطاعة . (.....)
- ٢- ﴿فَعَسَىٰ﴾ تفيد الترجي والتوقع . (.....)
- ٣- في الآيات مدح التقليد . (.....)

س ٤ : اكتب من الآيات ما يفيد المعاني الآتية :

- ١- من لا يسعى لإصابة الحق في الدنيا لا يوفق إليه يوم القيامة :

.....

.....

- ٢- تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله بمتابعته :

.....

.....

س ٥ : علل لما يأتي :

١- تسمية الحجج أنباء وأخبارًا :

.....

.....

٢- تمني الكافرين الإيمان والاهتداء يوم القيامة :

.....

.....

من صفات الربّ سبحانه وأفعاله

سورة القصص الآيات من (٦٨ - ٧٠)

تمهيد :

قد وصف الله نفسه بصفاتٍ جليّةٍ عظيمة ، وتفرد بأفعالٍ دالّةٍ على عظمته دون غيره مما له الكمال والجمال والجلال وحده لا شريك له ، فاستحق أن يُحمَد في الدنيا والآخرة ، وهذا كله يثمر في قلب العبد وعمله محبةَ الله - ﷻ - والشوق إلى لقائه ومحبة ما يحبه الله ، فيخشى الله ويتقيه بفعل الطاعات واجتناب السيئات ، ويعتقد اعتقاداً جازماً أن الله - ﷻ - أراد لنا بهذه الشريعة المنزلة وبهذا النبي المرسل الخير في الدنيا والآخرة ؛ فنسأل الله - ﷻ - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب لنا الخير العظيم والفضل الكبير .

النص

قال تعالى :

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ

﴿٧٠﴾ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
الْخَيْرَةُ	الاختيار والاصطفاء والاجتباء .
سُبْحَنَ اللَّهُ	أنزه الله عن كل نقص وعيب .
تُكِنُّ	تُخْفِي - تَضْمُر .
لَهُ الْحَمْدُ	الحمد : وصف الله بصفات الجلال والجمال والكمال حُباً وتعظيماً .
فِي الْأُولَى	الدنيا .
وَالْآخِرَةِ	القيامة .
وَلَهُ الْحُكْمُ	القضاء النافذ .

الشرح الاجمالي والآيات :

تفرد الله تعالى بالخلق والعلم والاختيار:

يبين الله - ﷻ - شيئاً من صفاته و أفعاله ما يتضمن الردَّ على المبطلين ، فقال الله - ﷻ - : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ﷻ - ﷻ - أن يخلق ما يشاء خلقه ويختار ما يشاء اختياره واصطفاه من خلقه ، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ . . . ﴾ (١) فكما أن الخلق إليه فكذا الاختيار في جميع الأشياء له ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢) فالله - ﷻ - هو أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله ، فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ؛ والربوبية في قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ﴾ ﷻ ربوبية خاصة تقتضي الرعاية والعناية والنصرة والتأييد .

ثم أكد وقرّر ذلك بقوله : ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخَيْرَةُ﴾ ﷻ أي : ليس لهم أن يختاروا على الله شيئاً ؛ وله - ﷻ - الخيرة عليهم ، وفي هذه الآية ردٌّ على بعض المشركين الذين قالوا : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا

١- سورة الحج (٧٥) .

٢- سورة الأنبياء (٢٣) .

الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿١﴾ وردُّ على اليهود الذين قالوا : لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به .

ونوع ﴿مَا﴾ في قوله ﴿مَا كَانَتْ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ نافية ؛ أي ليس لهم أن يختاروا على الله شيئاً ، والوقف على قوله : ﴿وَيَخْتَارُ﴾ وقف تام ، وهذا هو الصحيح من أقوال المفسرين .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . . . ﴾ (٢) .

قال الشاعر :

العبدُ ذو ضجر والرُّبُّ ذو قدرٍ والدهر ذو دول والرزق مقسومٌ
والخيرُ أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه ؛ اللوم والشوم

ثم نزه نفسه - ﷺ - أن ينازعه أحدٌ في سلطانه ؛ فقال : ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزه تعالى عن كل نقص وعيب ومن ذلك إشراكهم مع الله غيره .

من أمثلة اختيار الله تعالى من خلقه :

- ١ - خلق السماوات سبعا فاختار العليا منها فجعلها مستقر المقربين من ملائكته واختصّها بالقرب من كرسیه وعرشه .
- ٢ - تفضيله - ﷺ - جنة الفردوس على سائر الجنان وتخصيصها بأن جعل عرشه سقفه .
- ٣ - اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل .
- ٤ - اختياره من الأنبياء من ولد آدم - ﷺ - واختار منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا ، واختار من هؤلاء أولي العزم منهم محمد وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى ، واختار منهم الخليلين إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وآلهما وسلم - .

١- سورة الزخرف (٣١) .

٢- سورة الأحزاب (٣٦) .

٥- واختار ولد إسماعيل من أجناس بني آدم ، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة ، ثم اختار من ولد كنانة قريشاً ، ثم اختار من قريش بني هاشم ، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمداً - ﷺ - .

٦- اختار من جملة العالمين أصحاب محمد - ﷺ - ، واختار منهم السابقين الأولين ، واختار منهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان ، واختار من الدين أكمله ، ومن الشرائع أفضلها ، ومن الأخلاق أزكاها وأطيبها وأطهرها .

٧- اختار أمة محمد - ﷺ - على سائر الأمم وأعطاه من المناقب العظيمة ما أعطاها ، ووهبها من العلم والحلم ما لم يهبه لأمة سواها .

٨- اختار - ﷺ - من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام ، اختاره لنبيه - ﷺ - وجعله مناسك لعباده .

٩- ومن هذا تفضيله بعض الأيام والشهور على بعض ؛ فخير الأيام عند الله يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر ، ثم يوم عرفة حيث يدنو الله فيه من عباده ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف ؛ وكذلك أيام عشر من ذي الحجة وفضل شهر رمضان على سائر الشهور وليالي العشر الأواخر منه من أعظم الليالي ، وفيه ليلة عظيمة مباركة ليلة القدر .

١٠- وفضل يوم الجمعة وأنه من أفضل أيام الأسبوع وأفضل يوم طلعت عليه الشمس . والمقصود أن الله - ﷻ - اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره ، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب ، فالطيب من كل شيء هو ما اختاره الله - ﷻ - ((ملخص كلام ابن القيم في زاد المعاد)) .

﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١)

قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

يقرر الله - ﷻ - بأنه يعلم ما تضرر وتخفي قلوبهم من الشرك والشر والعداوة والحقد للنبي

-ﷺ- ولمن اتبعه من المؤمنين ، وما يظهرون بألسنتهم وجوارحهم من الطعن في النبوة والتكذيب بهذا القرآن ونحو ذلك من الكفر والضلال .

ومن ثمرات هذه الآية أن يزداد المؤمن إيماناً و يقيناً ، فيتوكل على الله تعالى ويثق به ولا يعبأ بأقوالهم وما تخفيه صدورهم ، ويعلم عداوة هؤلاء له ولدينه الذين يتحینون الفرص للقضاء على الدعوة وإيغار الصدور ونحوها ولكن هيهات .

المصير إلى الله -ﷻ- :

يمدح الله -ﷻ- نفسه العلية بالوحدانية والتفرد باستحقاق الحمد ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا معبود حق إلا الله تعالى ، وهذا معنى هذه الكلمة العظيمة ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ المتضمنة لركنين عظيمين هما : النفي ، نافياً جميع ما يعبد من دون الله ، والإثبات : مثبتاً العبادة لله وحده ؛ وهي عنوان التوحيد وزينة الإيمان وأعظم ما أمر الله تعالى به ، وبضدها الشرك بالله الذي هو أعظم ذنب عُصي الله به وأعظم ما نهى الله عنه .

﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ له الشاء الجميل والشكر العظيم في الدنيا والآخرة ، واللام في ﴿ لَهُ ﴾ للاستحقاق ؛ إذ الحمد هو وصف الله -ﷻ- بصفات الجلال والجمال والكمال حُباً وتعظيماً وهو -ﷻ- المحمود في جميع ما يفعل في الدنيا والآخرة ، وقال بعض أهل العلم : إن الحمد لله هو أعظم ذكر يذكر الله -ﷻ- به بعد كلام الله القرآن الكريم ، وذلك لأمر :

١- تضمنه لمعاني الكمال لله تعالى .

٢- أول ما أنطق الله به آدم -ﷺ- .

٣- يُلهِم نبينا -ﷺ- في الشفاعة العظمى من المحامد ما لا يحصيه في ذلك الوقت .

٤- الحمد لله تملأ ميزان الحامد عند الله تعالى .

ولهذا يحمده المؤمنون يوم القيامة كما حمدوه في الدنيا بقولهم : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾^(١) وبقولهم : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾^(٢) ابتهاجاً وفرحاً بفضلِهِ - نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ .

ثم قال - ﷺ - : ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ يقضي بين عباده ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . وحكم الله - ﷻ - أقسام :

- (١) الحكم القدري وهو ما يتعلق بجميع ما خلق وذراً .
- (٢) الحكم الشرعي وهو ما يتعلق بجميع الشرائع والأوامر والنواهي .
- (٣) الحكم القدري الجزائي وهو ما يتعلق بالجزاء يوم الدين ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٨) ﴿٣﴾ .

ثم ختم الله - ﷻ - هذه الآية بقوله : ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ جميعكم يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه و المسيء بإساءته ، ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر أن يستعد المؤمن لهذا اليوم يوم الجزاء بالإيمان والعمل الصالح ، حتى يكون من المنعمين يوم القيامة ولا يكون ممن تقطعهم الحسرة والندامة ويغشاهم الذل والهوان .

فائدة:

يحسن بنا أن نذكّر أبناءنا المتعلمين عند قول الله - ﷻ - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بحديث الاستخارة المتضمن للصلاة والدعاء ، فحريٌّ بك أيها المتعلم النجيب أن تتعلم هذا الحديث وتعمل به ، وتعلم أن الأمر كله لله وتتيقن بعظم هذه الشريعة التي تسير عليها ، فبدلاً من الخرافات والأكاذيب وادعاء علم الغيب من الذهاب إلى المشعوذين والتصديق بأخبار الكهنة ونحوها ، سرّ مطمئناً إلى الآيات والأحاديث متوكلاً على ربك .

١- سورة فاطر (٣٤) .

٢- سورة الزمر (٧٤) .

٣- سورة الزلزلة (٧-٨) .

روى البخاري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدري لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به » قال : ويسمي حاجته .

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد .
- ٢- بيان شيء من دلائل ربوبية الله تعالى و وحدانيته وكمال حكمته وعظيم قدرته .
- ٣- التوكل على الله والثقة به من أبرز صفات أهل الإيمان .
- ٤- النبوة و الرسالة اصطفاء واختيار من الله تعالى .
- ٥- تنزيه الله تعالى عن إشراك من أشرك به .
- ٦- استحقاق الله للحمد في الدنيا والآخرة .
- ٧- بيان حكم الله الشامل وقضائه النافذ في جميع مخلوقاته .
- ٨- يتحتم الاستعداد إلى الله تعالى بما يرضيه إذ المصير إليه .

القيم المستفادة :

- تعظيم الله - عز وجل - .
- مراقبة الله تعالى .
- الاستخارة .



س ١ :وضح معاني المفردات :

١- **الْخَيْرَةُ**

٢- **مَا تُكِنُّ**

س ٢ : هل في قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ إشارة إلى دعاء الاستخارة ؟ وضح ذلك .

.....
.....

س ٣ : اكتب نوع (ما) في قوله تعالى ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخَيْرَةُ﴾ مبيناً نوع الوقف على قوله :
﴿وَيَخْتَارُ﴾؟

.....
.....
.....
.....

س ٤ : ما ثمرة إيمانك بحقيقة أن الله لا يخفى عليه شيء؟

.....
.....

س ٥ : املأ الفراغات التالية بما يناسبها :

١- الحمد لله تعني ونوع اللام

٢- ركنا كلمة التوحيد هما و
ومعناها : لا معبود

س ٦ : بم يكون استعدادك لليوم الآخر؟

.....
.....

من دلائل التوحيد

الدرس السابع والعشرون

سورة القصص الآيات من (٧١ - ٧٥)

تمهيد :

كتابُ الله - ﷻ - القرآن العظيم يتحدث عن ثلاثة محاور :

الأول : التوحيد والعقائد وما يتعلق باليوم الآخر .

الثاني : الأحكام والأوامر والنواهي والشرائع .

الثالث : القصص والأخبار وما فعل الله - ﷻ - بالأمم الغابرة وما في ذلك من دروس عبر .

ولعظم المحور الأول وعلو منزلته عند الله - حيث يتعلق بتطهير النفس البشرية وتحريرها من رِقِّ المخلوقين إلى عبادة الله - ﷻ - وحده لا شريك له - كانت الآيات المكية تدعو إلى تحقيق هذا الأصل العظيم حتى يكون الإنسان عبداً لله لا لغيره ويفوز برضا الله والجنة .

وقد أكثر الله - ﷻ - في كتابه من إقامة الدلائل المشاهدة على وحدانيته وأنه المستحق بأن يعبد وحده لا شريك له ، وكذلك بتصوير يوم القيامة وكأنه رأي عين حتى نجتمع في قلوبنا بين الرغبة والرغبة والخوف والرجاء ؛ وأصل ذلك محبة الله تعالى ومحبة ما يحبه ، وأعظم علامة وبرهان على شكرك لنعم الله تعالى هو قيامك بالعبودية لله وحده لا شريك له

النص

قال تعالى :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ۝٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝٧٥﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
أَرَيْتُمْ	أخبروني ؛ عبّر عن الإخبار بالرؤية لأنها سببه .
سَرْمَدًا	دائماً مستمراً .
تَسْكُنُونَ فِيهِ	تستقرون فيه .
وَنَزَعْنَا	أحضرنا ؛ من قولهم : نزع فلان بحجة كذا ، إذا أحضرها وأخرجها .
شَهِيدًا	نبي الأمة يشهد عليها بما أجابته حينما أرسل إليها .
هَاتُوا	أتوا .
بُرْهَانَكُمْ	حجتكم ودليلكم .
وَضَلَّ	غاب وبطل وذهب .
يَفْتَرُونَ	يختلقون من الكذب .

الشرح الإجمالي للآيات :

من آيات الله العظيمة :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ يبين الله تعالى في هذه الآيات أنه مهّد لعباده أسباب المعيشة ليقوموا بشكر النعمة ، فإنه لو كان الدهر الذي يعيشون فيه ليلاً دائماً إلى يوم القيامة لم يتمكنوا من الحركة فيه وطلب ما لا بد لهم منه مما يقوم به العيش من المطاعم والمشارب والملابس ؛ ثم امتن عليهم فقال : ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ﴾ أي هل لكم إله من الآلهة التي تعبدونها يقدر على أن يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم بنور تطلبون فيه المعيشة وتبصرون فيه ما تحتاجون إليه وتصلح به ثماركم وتنمو عنده زروعكم وتعيش فيه دوابكم ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر والاستفهام للتوبيخ المتضمن للإنكار عليهم .

ولما فرغ من الامتنان عليهم بوجود النهار امتن عليهم بوجود الليل فقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَكْرَمًا إِلَى يَوْمِ الْآخِرَةِ ﴾ أي جعل جميع الدهر الذي تعيشون فيه نهراً إلى يوم القيامة ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ أي تستقرون فيه من النَّصَب والتعب وتستريحون مما تزاولون من طلب المعاش والكسب ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ هذه المنفعة العظيمة إِبْصَارَ متعظ متيقظ حتى تنزجروا عما أنتم فيه من عبادة غير الله ؛ وإذا أقروا بأنه لا يقدر على ذلك إلا الله - ﷻ - فقد لزمتهم الحجة وبطل ما يتمسكون به من الشُّبْهة الساقطة .

وقد قرن الله - ﷻ - بالضياء قوله ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منفعته ووصف فوائده ، وقرن بالليل قوله ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لأن البصر يدرك ما لا يدركه السمع من ذلك .

وقد جاء ختم الآيتين بقوله : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ بيان أنهم لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر نُزِّلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر .

شكر الله تعالى على نعمه :

ثم جلى الله تعالى شيئاً من رحمته من خلق الليل والنهار ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي ومن رحمة الله بكم أيها الناس أن جعل لكم الليل والنهار وخالف بينهما فجعل الليل ظلاماً لتستقروا فيه راحة لأبدانكم من تعب التصرف نهاراً في شؤونكم المختلفة ، وجعل النهار ضياءً تتصرفون فيه بأبصاركم لمعايشكم وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم بفضله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي ولتستعدوا لشكره على إنعامه عليكم وتخلصوا له الحمد ، لأنه لم يشركه في إنعامه عليكم شريك ، ومن ثم ينبغي أن لا يكون له شريك يُحمد .

والمقصود أن الليل والنهار نعمتان تتعاقبان على مر الزمان ، والمرء في حاجة إليهما إذ لا غنى له عند الكدح في الحياة لتحصيل قوته ولا يتسنى له ذلك على الوجه المرضي لولا ضوء النهار كما لا يكمل له السعي على الرزق إلا بعد الراحة والسكون بالليل ولا يقدر على شيء من ذلك إلا الله الواحد القهار .

ومما يجب على العبد شكر الله -ﷻ- على نعمه ، وحقيقته : أن تعترف بقلبك بنعم الله -ﷻ- عليك وأن يلهج لسانك بشكر الله عليها وأن تستعمل هذه النعم في طاعة الله -ﷻ- ، وبهذا تكون عبداً شاكراً لله -ﷻ- .

مشهد من مشاهد يوم القيامة :

كرر الله -ﷻ- قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وذلك لورود مثلها في نفس السورة لكن لاختلاف الحالتين لأنهم ينادون مرة فيدعون الأصنام ، وينادون أخرى فيسكتون ، وفي هذا التكرير أيضاً تقريع بعد تقريع وتوبيخ بعد توبيخ .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ أي : وأخرجنا من كل أمة من الأمم شهيداً يشهد عليهم ، وهم الأنبياء على أمهم بما أجابوه أو أعرضوا عنه ، وجاء قوله ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ بصيغة الماضي للدلالة على التحقق .

ثم بين الله -ﷻ- ما يقوله لكل أمة من هذه الأمم : ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي حجتكم ودليلكم بأن معي شركاء ، فعند ذلك اعترفوا وخُرسوا عن إقامة البرهان ، ولهذا قال : ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ في الألوهية وأنه وحده لا شريك له ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ ﴾ غاب عنهم وبطل وذهب ﴿ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ما كانوا يخلقونه من الكذب في الدنيا بأن الله شركاء يستحقون العبادة .

والأمر في قوله : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ للتعجيز .

من هداية الآيات :

- ١- الليل والنهار آيتان من آيات الله تعالى الدالة على كمال قدرته واستحقاقه للعبادة .
- ٢- بيان أن آتي الليل والنهار فيهما منفعة عظيمة للعباد إذ النهار للسعي والكد والعمل والليل للراحة والسكون .
- ٣- وجوب شكر الله على نعمه .
- ٤- بيان مشهد من مشاهد يوم القيامة .
- ٥- التوحيد أحسن الحسنات وأصلها ، والشرك أقبح السيئات وأصلها .

القيم المستفادة :

- اليقين بالوهمية الله تعالى .
- توحيد العبودية لله تعالى .
- الإخلاص .



س ١ :وضح معاني المفردات الآتية :

- ١- سَرَمَدًا :
- ٢- وَنَزَعْنَا :
- ٣- بُرْهَانَكُمْ :
- ٤- وَضَلَّ :

س ٢ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- كتابُ الله تعالى كله يتعلق بالله واليوم الآخر . ()
- ٢- نوع الإستفهام في قوله : ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ للتقرير . ()
- ٣- جاءت الآية بصفة الماضي في قوله : ﴿وَنَزَعْنَا﴾ لتحقيق وقوعه . ()

س ٣ : الليل والنهار نعمتان من نعم الله على خلقه . وضح ذلك .

.....
.....

س ٤ : كيف يحقق المرء شكر الله على نعمه ؟

.....
.....

س ٥ : علل لما يأتي :

١ - ختم الآيتين بقوله : ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

.....
.....

٢ - سكوت المضلين الضالين عندما ينادون يوم القيامة .

.....
.....

س ٦ : ابحث عن معنى قول علماء البلاغة : « اللف والنشر المرتب في قوله » : ﴿وَمِنْ

رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

.....
.....
.....
.....

تهديد:

جعل الله تعالى المال الذي أنعم به على عباده فتنة لهم واختباراً ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) : وهذا حتى يعلم من يشكره ومن يشتغل عنه ويستعيز به منه ؛ وقد كان المال قياماً تقوم عليه معاش الناس ومصالحهم الدنيوية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَوْنُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالُكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ (٢) : وهذا حثٌ على حفظ الأموال وعدم تضييعها ؛ وقد حذّرنا الله - ﷻ - من الاشتغال بالأموال والأولاد عن ذكره تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) : وقد انقسم الناس في مقام المال إلى قسمين :

الأول : من اتقى الله - ﷻ - في ماله وأجمل في الطلب واكتسب ماله من الحلال ولم يكن المال أكبر همه ولا مبلغ علمه ؛ وإنما جعله في يده ولم يجعله في قلبه فلم يشغله عن ذكر الله ولا عن الصلاة ولا عن أوامر الله بل جعل المال وسيلة إلى فعل الخيرات وطهر ماله من الربا وتبعاته وزكّى ماله وابتعد عن المعاملات المالية المحرمة وشكر الله - ﷻ - على نعمة المال واقتصد في إنفاق المال .

وأما القسم الثاني : فلم يتق الله - ﷻ - في ماله ولم يجعله في الطلب فصار يكتسب المال من أيّ طريق أتيح له ولم يشكر الله - ﷻ - على نعمة المال بل أضاف ما عنده إلى حذقه ومهارته أو إلى آبائه وأجداده وينطبق عليه قول الحبيب - ﷺ - : « **إِنْ رَجُلًا يَتَخَوِضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (٤) . ظلم الناس من أجل المال وهضم حقوق غيره من أجل إبقاء المال وقد جمع في قلبه وخلق خصلتين ذميتين هما : الشح والبخل فوقع فيما حرم الله - ﷻ - .

وفي الآيات الكريمة قصة عجيبة ومثال عظيم لمن غرّه ماله وجرّه إلى الكبر والبطر والفرح والأشر ، قصة ذلك الرجل قارون و ما في قصته من الدروس والعبر .

١- سورة التغابن (١٥) .

٢- سورة النساء (٥) .

٣- سورة المنافقون (٩) .

٤- رواه البخاري .

النص

قال تعالى :

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ ۚ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ	تكبر وتجر .
وَأَتَيْنَاهُ	أعطيناه .
مِنَ الْكُتُوبِ	جمع كنز وهو المال المدفون في باطن الأرض و المراد به هنا المال المدخر .
مَفَاتِحُهُ	جمع مفتاح بكسر الميم : اسم آلة الفتح .
لَتَنُوءُ	من ناء بالشيء ينوء ثقل عليه .
بِالْعُصْبَةِ	الجماعة من الخمسة إلى العشرة فأكثر يتعصب بعضهم لبعض . والباء فيها للمصاحبة .
أُولَى الْقُوَّةِ	أصحاب الشدة .
لَا تَفْرَحْ	لا تفرح فرح أشد وبطر .
وَابْتَغِ	واطلب .
الدَّارَ الْآخِرَةَ	الثواب من الله .
مِنَ الْقُرُونِ	جمع قرن ، والقرن القوم المقترنون في زمن واحد .

الشرح الإجمالي للآيات :

شأن قارون :

بعد أن ذكر الله - ﷻ - حديث أهل الضلالة والكفر وما يلقونه من الإهانة والاحتقار يوم القيامة ، ومناداتهم على رؤوس الأشهاد بما يفضحهم ويبيّن لهم سوء مغبتهم ، أعقبه بقصة قارون وما كان من حاله وما حدث له ليبين عاقبة أهل البغي والجبروت في الدنيا والآخرة وفيها تسليّة للنبي - ﷺ - وفيها عظة للمؤمنين وذكرى للكافرين .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ قارون هو رجل من بني إسرائيل كان ممن آمن بموسى - ﷺ - وحفظ التوراة ، وكان من أقرّ الناس لها ، وكان عند موسى - ﷺ - من عبّاد المؤمنين ، وكان يسمى المنور لحسن صورته ثم لحقه الزهو والإعجاب فبغى على قومه بأنواع من البغي ، فمن ذلك كفره بموسى - ﷺ - واستخفافه به ومطالبته له بأن يجعل له شيئاً ولهذا قال الله - تعالى - : ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ أي تجاوز الحد في احتقارهم وتكبر وتجبّر .

ثم ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾

أي وأعطيناه المال المذخور الذي يثقل حمل مفاتيح خزائنه على العدد الكثير من الأقوياء من الناس ؛ وسميت أمواله كنوزاً لأنه كان ممتنعاً من أداء الزكاة .

نصح وتوجيه :

وبعد أن ذكر الله تعالى بغي قارون ذكر وقت بغيه ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ﴾ .

وذلك بعد أن أظهر التفاخر والفرح بما أوتي قال له قومه من بني إسرائيل : لا تظهر الفرح والبطر بكثرة مالك فإن ذلك يجعلك تتكالب على جمع حطام الدنيا وتتلهى عن أمر الآخرة و أحوالها وتتشاغل عن فعل ما يرضي الله تعالى .

ثم علّل النهي عن الفرح بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي أنه تعالى لا يحب الأشرين البطرين الذين يختالون ويتفاخرون ويتكبرون .

وأثر عن بعضهم أنه قال : لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها ، أما من يعلم أنه سيفارقها عن قريب فلا يفرح بها ، وما أحسن ما قال الشاعر :

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقلاً

وأحسن منه وأوجز قوله - ﷺ - : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(١) ثم نصحوه بعدة نصائح فقالوا :

(١) ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي واستعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك ، والتقرب إليه بأنواع القربات من أوجه البر والإحسان التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة .

(٢) ﴿وَلَا تَنسَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي ولا تترك حظك من لذات الدنيا في مآكلها ومشاربها وملابسها فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، فكل واشرب والبس واركب واسكن ولكن من غير إسراف ولا مخيلة ؛ ففي الآية حثٌ على الاستمتاع بالطيبات لحديث : «إن الله يحب أن تُرى نعمته على عبده»^(٢) .

(٣) ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أحسن في عبادة الله تعالى و أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك فيما أنعم به عليك . والإحسان في عبادة الله تعالى الإتيان بها على الوجه المطلوب ومراقبة الله في الأقوال والأعمال ؛ والإحسان إلى عباد الله فهو كف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه والإعانة بالمال والجاه وحسن اللقاء والثناء عليهم في غيبتهم وحفظ ودهم .

١- سورة الحديد (٢٣) .

٢- رواه أحمد ١٨٢ / ٢ .

وإحسان الشيء أي إتمامه وإتقانه :

٤ ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ولا تصرف همتك بما أنت فيه إلى الفساد في الأرض والإساءة إلى خلق الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يقربهم ولا يدينهم ولا يكرمهم بل هم بعيدون منه - ﷻ - ومن نيل مودته ورحمته ، ومن لم يحبه الله تعالى أبغضه ومن أبغضه عذبه في الدنيا والآخرة .

والفساد في الأرض يكون بفعل المعاصي الجامعة لترك الفرائض وإتيان الكبائر .

إباء واستكبار :

وبعد أن وُعط و نُصح بهذه الموعظة العظيمة من أهل العلم والبصيرة من قومه زاد في كفران النعمة وأبى ، قال الله تعالى عنه : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي لا تهددونني ولا تخوفوني بسلب مالي عني إن أنا لم أحسن فإن هذا المال آتانيه الله على علم منه بأني أهل له ولذا أعطاني وزاد عطائي وأكثره .

وهذا القول منه غاية في العُجب والغرور والإباء والاستكبار .

فرد الله عليه مقررماً موبخاً بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أي أنسي ولم يعلم حيث زعم أنه أوتي هذا المال لفضل علم عنده فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي ، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هم أشد منه بطشاً وأكثر جمعاً للأموال ؟ و لو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ورضاه عنه لم يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً ، لأن من يرضى الله عنه فمحال أن يهلكه وهو عنه راض وإنما يهلك من كان عليه ساخطاً ، ألم يشاهد فرعون وهو في أبهة ملكه وحقق أمره يوم هلكه . وفي هذا الأسلوب توبيخ له على اغتراره بقوته وكثرة ماله ، مع علمه بذلك وبعد أن هدده الله - ﷻ - بذكر إهلاك من قبله من أمثاله في الدنيا أتبع ذلك تهديد المجرمين عموماً بما هو أشد من عذاب الآخرة وهو عدم سؤالهم عن ذنوبهم إذ أنه يؤذن بشدة الغضب عليهم والإيقاع

بهم لا محالة ، فقال : ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي إنه تعالى حين يعقابهم يوم القيامة لا يسألهم عن مقدار ذنوبهم ولا عن كنهها لأنه عليم بها ولا يعاتبهم عليها .

وهذا لا يمنع أنهم يسألون سؤال تقرير وإهانة كما في قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (١) .

وللمجرمين والعياذ بالله علامات يُعرفون بها ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٢) ومن علاماتهم أنهم زُرَقَ العيون سود الوجوه ، قال تعالى : ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (٣) وقال : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (٤) .

من هداية الآيات :

- ١ - خطورة المال وأنه سبب لإفساد دين المرء إلا من عصمه الله تعالى ورحمه .
- ٢ - ذمُّ الفرح إذا كان على وجه البطر والفخر والكبر والخيلاء .
- ٣ - من فضل الله تعالى على الأمة أن يوجد فيها عاملون عاملون ناصحون .
- ٤ - جواز الاستمتاع بما أباحه الله تعالى من المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن من غير سرف ولا مخيلة .
- ٥ - بيان شيء من أحوال المجرمين يوم القيامة .

القيم المستفادة :

- بغضُ الكبر وأهله .
- حبُّ الناصحين .
- الاعتبار بحال الهالكين .

١- سورة الحجر (٩٢-٩٣) .

٢- سورة الرحمن (٤١) .

٣- سورة طه (١٠٢) .

٤- سورة آل عمران (١٠٦) .



التقويم

س ١ : وضح أقسام الناس في المال .

.....

.....

.....

.....

س ٢ : بين معاني الكلمات الآتية :

- ١- فَبَغَى :
- ٢- لَنُنَوِّأُ :
- ٣- بِالْعُصْبَةِ :
- ٤- مِنْ الْقُرُونِ :

س ٣ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- قارون رجل من أهل اليمن . ()
- ٢- الفرح كله غير مشروع . ()
- ٣- نوع الباء في قوله ﴿ بِالْعُصْبَةِ ﴾ للمصاحبة . ()
- ٤- الفساد في الأرض لا يكون إلا بفعل المعاصي . ()

س ٤ : أكمل ما يأتي:

١- الإحسان نوعان :

الأول في والثاني

٢- يكون الفساد في الأرض

بفعل وترك

س ٥ : علل لما يأتي:

١- لا يُسأل المجرمون عن ذنوبهم يوم القيامة .

.....
.....

٢- تسمية أموال قارون كنوزاً .

.....
.....

س ٦ : ما صلة الآيات بما قبلها ؟

.....
.....
.....
.....

تهييد:

القصص التي قصها الله -عز وجل- في كتابه العظيم فيها من الفوائد العظيمة والحكم الجليلة ما فيها ، نذكر منها :

١- تسلية النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلوان له من الأحزان التي أصابته من أذى قومه وكذلك أنه لا يملك هداية أحد من الناس ولو كان قريباً ، فهذا قارون لم تنفعه قرابته لموسى -عليه السلام- وهو ابن عمه لما انحرف وضل .

٢- تقرير الرسالة المحمدية وأنه لا سبيل إلى معرفة واقع تلك القصص إلا بوحي من الله .

٣- تتضمن تلك القصص الرد على المبطلين وكشف شبهاتهم وبيان أغراضهم .

٤- العظة والعبرة والتذكير بهذه الحوادث كيف أنجى الله المؤمنين برحمته و أهلك الكافرين الضالين بعزته .

ثم لا تنسى دور العلماء الناصحين المصلحين في التوجيه والإرشاد وهم زينة الأرض ومصابيح الدجى ومناورات الهدى .

النص

قال تعالى :

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۝٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ۝٨١ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيَكَاذِبُ الْكَافِرُونَ ۝٨٢ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
حَظٌّ	بخت ونصيب .
أَوْثُوا الْعِلْمَ	من أعطوا علم الدين والفهم فيه .
وَلَا يُلْقَهَا	لا يوفق لها .
وَيَلَكُمْ	ويلكم كلمة ويل أصلها الدعاء بالهلاك ثم استعملت في الزجر عن ترك ما لا يرتضى .
فَخَسَفْنَا	خسف المكان : أي غار في الأرض .
فِئَةٍ	جماعة .
وَيَكَاثُ اللَّهِ	كلمة يراد بها التندم والتعجب مما حصل .
يَبْسُطُ	يوسّع .
وَيَقْدِرُ	يضيّق .

الشرح الإجمالي للآيات :

إظهار الزينة تكبراً وفخراً :

بعد أن ذكر الله تعالى بغي قارون وعتوه وجبروته وكثرة ما أوتيته من المال الذي تنوء به العصبية أولو القوة ، أردف ذلك بعض مظاهر بغيه وكبريائه ، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ . خرج على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وخدم وحشم مريداً بذلك التعالي على الناس وإظهار العظمة وذلك من الافتخار والخيلاء والصفات البغيضة لدى عقلاء الناس لما في ذلك من آثار سيئة على المجتمع ونشر الطبقية المشينة بينهم . وفي هذا تحذير لنا أيما تحذير فكثير ممن يظهرون النعم إنما يريدون التعالي والتفاخر ، وكم من يقيم الزينات أو يصنع الولائم للأعراس ونحوها لا يريد إلا إظهار ثرائه وسعة ماله بين عشيرته فيكون قارون زمانه ، وتكون عاقبته الخسف لما أوتيته من مال ويذهب الله ثراه ويجعله عبرة لمن اعتبر .

فالقرآن الكريم ما قص علينا إلا ليرينا أن الكبرياء والتعالي ليس وبالهما في الآخرة فحسب بل يحصل شؤمهما في الدنيا قبل الآخرة كما حصل لكثير من المسلمين اليوم .

من النصوص الواردة في ذم الكبر والخيلاء والحث على التواضع :

- ١- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ^(١) وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴾ ^(٢) .
- ٢- قال رسول الله - ﷺ - : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ^(٣) .
- ٣- وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه رجلاً جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة » ^(٤) .
- ٤- قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .
- ٥- قال رسول الله - ﷺ - : « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » ^(٧) .
- ٦- قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » ^(٨) .

عُجِبَ واغترار:

ثم ذكر الله تعالى كلام من اغتر من قومه ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ وهؤلاء هم المفتونون بالدنيا وزخرفها من أهل الغفلة عن الآخرة ، وما أكثرهم اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم يقولون : ياليت لنا من الأموال والمتاع مثل ما لقارون منها حتى ننعيم عيشاً ونتمتع بزخارف الحياة كما يتمتع .

١- سورة النحل (٢٣) .

٢- سورة لقمان (١٨) .

٣- رواه مسلم .

٤- البخاري ٥٧٨٩ ومسلم ٢٠٨٨ .

٥- سورة الكهف (٢٨) .

٦- سورة الحجر (٨٨) .

٧- مسلم ٢٥٨٨ .

٨- رواه مسلم ٧٥٠ .

وإن مثل هذا التمني ليشاهد كل يوم فترى كل أحد يتمنى أن يكون له مثل ما أوتى فلان من ثوب جميل أو مركب فاره أو مزرعة يحصد غلتها أو قصر مشيد أو نحو ذلك إلا من رحم الله تعالى . ثم عللوا تمنيههم وأكدوه بقولهم : ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي : إنه لصاحب نصيب وافر من الدنيا

العلماء منارات هدى ومشاعل إصلاح :

ثم ذكر الله تعالى ما تكلم به العلماء الناصحون الذين يعلمون أسباب السعادة والشقاء ، قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي قالوا لهؤلاء المغترين المفتونين بزخرف الحياة الدنيا : تباً لكم وخسراً ؛ كيف تتغالون في طلب الدنيا ويسيل لعابكم عليها : وما عند الله من ثواب في الآخرة لمن صدق به وآمن برسله وعمل صالح الأعمال خير مما تتمنون فإن هذا باقٍ وذاك فاني ، وهذا خالص مما يشوبه وينغصه من الأكدار وذلك مشوب بالأحزان والمنغصات .

ثم بين الله تعالى من يعمل بهذه النصيحة فقال : ﴿وَلَا يُلْقَهَا إِلَّا الْغَافِرُونَ﴾ أي ولا يتبع هذه النصيحة ولا يوفق إليها ولا يعمل بها إلا من صبر على أداء الطاعات واجتنب المنهيات ورضي بقضاء الله يأكل ما قدر وقسم فبذلك تصفو نفوسهم وتعلوا مراتبهم ويظفروا بسعادة الدارين . قال الشاعر :

هي القناعة لا تبغي بها بدلا	فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها	هل راح منها بغير القطن والكفن

وفي هذه الآية دليل على أن الجهل بالله وشرائعه ووعدده ووعيده هو سبب كل شر وفساد في الأرض وأن العلم بذلك هو سبيل الإصلاح في الأرض .

مال وخيم ومصرع سوء :

ثم ذكر ما آل إليه بطرقارون وأشره من وبال ونكال فقال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ أي فزلزلت به الأرض وابتلعتة جزاء بطره وعتوه .

وفي هذا عبرة لمن اعتبر فيتعين النظر في أسباب الخسف حتى نجتنبها التي من أعظمها التغالي والتغالي في الزينة والكبر والخيلاء والفخر بالجاه والمال .

ثم بين الله تعالى أن قارون لم يجد له نصيراً يدفع عنه العذاب فقال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ أي ما أغنى عنه ماله ولا خدمه ولا حشمه ولا دفعوا له نقمة الله ولا استطاع أن ينتصر لنفسه .

ولما شاهد قوم قارون ما نزل به من العذاب صار ذلك زاجراً لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى -عليه السلام- وداعياً إلى الرضا بما قسم الله وإلى إظهار الطاعة والانقياد لشرعه ، قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَاتِّبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ أي فلما خسف الله بقارون الأرض أصبح قومه يقولون : إن كثرة المال والتمتع بزخارف الدنيا لا تدل على رضا الله عن صاحبه ، فالله يعطي ويمنع ويوسع ويضيق ويرفع ويخفض وله الحكمة التامة والحجة البالغة لا معقب لحكمه .

وجملة ﴿ وَيُكَاتِّبُ اللَّهُ ﴾ مركبة من وي : وهو اسم فعل بمعنى أعجب . والكاف : للتعليل وأن : الناصبة ، ومعناه : يقول كل واحد منهم : أعجب أنا من خطي في ذلك التمني وأندم عليه لأن الله -سبحانه- ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ نعمة وفضلاً ، ويضيق على من يشاء اختباراً وابتلاءً .

ثم لما لاح لهم من واقعة أمره أن الرزق بيد الله يصرفه كيف يشاء أتبعوه بما يدل على أنهم اعتقدوا أن الله قادر على كل ما يريد من زرق وغيره فقالوا : ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ أي لولا لطف الله بنا لخسف بنا كما خسف به لأننا وددنا أن نكون مثله ، ثم زادوا ما سبق تأكيداً

بقوله : ﴿وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٢) أي نعجب أيضاً عالمين بأنه لا يفلح الكافرون كقارون وفرعون وهامان أي لا يفوز الكافرون لا بالنجاة من العذاب ولا بدخول الجنان .

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن الفتنة أسرع إلى القلوب المريضة التي تشربت المادة .
- ٢ - وضوح أثر أهل العلم في النصيح والتوجيه والأمر والنهي .
- ٣ - الاعتبار بحال من عذب وهلك وأن ذلك دافع للانقياد لما أمر الله تعالى .
- ٤ - بيان عاقبة البغي والفساد في الأرض وأن عذابه معجل في الدنيا قبل الآخرة .
- ٥ - التوبة إلى الله والرجوع إليه بالإيمان والعمل الصالح مما ينفع المرء في الدنيا والآخرة .
- ٦ - عدم الاغترار بحال من فتن .

القيم المستفادة :

- حب العلماء المصلحين .
- احتقار الدنيا
- التواضع .



س ١ : وضح معاني الكلمات الآتية :

- ١- حَظٌّ :
- ٢- وَيَلَكُمَّ :
- ٣- فَخَسَفْنَا :
- ٤- فِئَةٍ :

س ٢ : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- التزين والتجمل من صفات المتكبرين . ()
- ٢- الصبر يكون على طاعة الله تعالى دون غيرها . ()
- ٣- يعطي الله تعالى المال من يحب ومن لا يحب . ()

س ٣ : بين مدى حاجة المجتمعات الإسلامية إلى علماء ناصحين .

.....

.....

.....

.....

س ٤ : بم عذب الله به قارون ؟ وما حال من اغتر به ؟

.....

.....

س ٥ : سجّل في كراستك خمس فوائد من قصة قارون مستعيناً بمعلمك .

.....

.....

س ٦ : هل في قصة قارون وأنه من قوم موسى -عليه السلام- تسليّة للنبي -ﷺ- ؟ وكيف ذلك ؟

.....

.....

ختم سورة القصص

الدرس الثلاثون

الآيات من سورة القصص (٨٣ - ٨٨)

التمهيد:

الرسول عليهم الصلاة والسلام خير الناس للناس وأكرم الخلق عند الله - ﷻ - فحقهم المحبة والإكرام والتصديق والطاعة منا ولا سيما وقد بان صدقهم ، لكن مع ذلك تعاقبت أكثر الأمم على أذيتهم وعصيانهم وتكذيبهم من أول رسول بعثه الله تعالى إلى رسولنا محمد - ﷺ - ، وإرسال النبي - ﷺ - إلينا أعظم نعمة وأجل منحة بما شرفه بهذا القرآن وفتح على يديه الخير العظيم ، فرسالته هداية للناس ونور لهم في الدنيا والآخرة إذ المصير إلى الله تعالى فيجزى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته ، إذ كل هالك ولا يبقى إلا الله تعالى .

النص

قال تعالى :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِينَ ٨٣ ﴾
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٤ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨٥ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٨ ﴾

مفردات الآيات :

الكلمة	معناها
الدَّارُ الْآخِرَةُ	الجنة .
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ	بغياً واستطالة على الناس .
وَلَا فَسَادًا	بعمل المعاصي فيها .
وَالْعَقِبَةُ	المحمودة في الدنيا والآخرة .
بِالْحَسَنَةِ	ما يمدح فاعلها .
بِالسَّيِّئَةِ	ما يذم فاعلها .
فَرَضَ عَلَيْكَ	أوجب عليك .
إِلَى مَعَادٍ	معاد الرجل بلده لأنه يتصرف في البلاد ثم يعود إليه .
تَرْجُوا	تطمع وتأمل .
ظَهِيرًا	معيناً .
وَلَا يَصُدُّكَ	لا يصرفك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفت بها .
هَالِكٌ	معدوم وفانٍ .
الْحُكْمُ	القضاء النافذ .

الشرح الإجمالي للآيات :

العاقبة الحميدة للمتقين :

بعد أن ذكر الله - ﷻ - قول أهل العلم ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ أعقب بذكر موضع ذلك الجزء العظيم والثواب الجزيل وهو الدار الآخرة التي جعلها الله تعالى لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يترفعون على الناس ولا يتجبرون عليهم ولا يفسدون فيهم بأخذ أموالهم بغير حق ، قال تعالى :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ أي تلك الدار التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق وإعراضاً عنه ولا ظلم الناس ولا معصية الله تعالى ، والإشارة في قوله : ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة للبعيد لقصد التعظيم لها والتفخيم لشأنها ، وذكر العلو والفساد منكرين للتعميم والشمول .

اعلم - وفقك الله - أن ليس من ذلك طلب العلو في الحق والرئاسة في الدين ولا محبة اللباس الحسن والمركوب الحسن والمنزل الحسن بلا ترفع ولا إسراف .

ثم قال تعالى : ﴿ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي والعاقبة المحمودة وهي الجنة لمن اتقى عذاب الله تعالى بعمل الطاعات وترك المحرمات وامثل أوامر الله تعالى وارتدع عن زواجره .

قال الشاعر :

دع الذنوب صغيرها	وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق	أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة	إن الجبال من الحصى

ثم بين الله تعالى بعد ذلك ما يحدث في هذه الدار جزاء على الأعمال في الدنيا فذكر أن جزاء الحسنة عشرة أضعافها إلى سبعمئة ضعف إلى ما يشاء الله تعالى فضلاً منه ورحمة ، وجزاء السيئة مثلها عدلاً منه ولطفاً منه بعباده وشفقة عليهم ، قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ أي من جاء يوم القيامة بحسنة فله خير منها ، وسميت الحسنة بذلك : لأنه يحسن بها شأن صاحبها ويظهر الحسن في وجهه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي ومن أتى بسيئة فلا يجزى عليها إلا مثلها وهذا منة من الله - ﷻ - ورحمة وعدل .

وسميت السيئة بذلك : لأنه يسوء بها صاحبها وتظهر علامات السوء بوجهه .

بشارة وعود حميد :

بعد أن ذكر الله - ﷻ - قصص موسى - ﷺ - وقومه مع قارون وبيّن بغي قارون وماله وسوء عاقبته أردف ببشارة نبيه ومصطفاه بأن يعود إلى مكة منصوراً مؤيداً ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ** ﴾ أي إن الذي أوجب عليك العمل بهذا القرآن العظيم لرادك إلى محل عظيم القدر اعتدته وألفته وهو مكة ؛ فإن العود إليها شأن عظيم وإظهاره لعز الإسلام وإذلال المشركين .

والآية وعد من الله تعالى لرسوله - ﷺ - وقد تحقق فإن الله تعالى لا يخلف الميعاد .

ثم لما قال المشركون لرسول الله - ﷺ - : « إنك لفي ضلال مبين » نزل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ أي قل لمن خالفك وكذبك من قومك المشركين ومن تبعهم : ربي أعلم بالمهتدي منكم ، وستعلمون من تكون له عاقبة الدار ومن تكون له الغلبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

وفي الآية إشارة إلى أن حب الوطن من الجبلّة التي جُبل الناس عليها ولهذا بُشِّر النبي - ﷺ - بعودته إلى مكة وذلك لشدة اشتياقه إلى وطنه ولاسيما إن مكة هي أحسن البقاع إلى الله تعالى .

توجيهات ونصائح :

ذكر الله - ﷻ - نبيه محمداً - ﷺ - النعمة ونهاه عن معاونة المشركين ومظاهرتهم فقال : ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** ﴾ أي وما كنت أيها الرسول ترجو أن ينزل عليك القرآن فتعلم من خلاله أخبار الماضين وما سيحدث من بعدك ، وما فيه من أحكام عظيمة وآداب سامية فيها سعادة الناس في معاشهم ومعادهم إلا رحمة من الله - ﷻ - عليك وعلى أمتك .

ثم بيّن الله ما يحب أن يعمل شكرًا لربه على نعمه العظيمة فقال تعالى : ﴿ **فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ** ﴾ أي فاحمد الله تعالى على ما أنعم به عليك بإنزاله الكتاب إليك ولا تكونن عوناً لمن كفروا به ولكن فارقههم وناذبهم .

ثم شدّد عزمه وقوّاه بأن لا يعبأ بمخالفتهم فقال تعالى : ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَةِ اللَّهِ بِعَدَا إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي ولا تبال بهم ولا تعتنى بشأنهم لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن التوحيد والرسالة فإن الله تعالى معك ومؤيدك ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان .

ثم أمره أن يصدع بالدعوة ولا يألو جهداً في تبليغ الرسالة فقال : ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي وبلغ رسالة ربك واعبده وحده لا شريك له .

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي ولا تترك الدعاء إلى ربك وتبليغ المشركين رسالتك فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ومخالفة أمره .

ثم فسّر هذا وبيّنه بقوله : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي ولا تعبد أيها الرسول مع الله تعالى معبوداً آخر سواه لأنه المستحق للعبادة وحده . ثم علل هذا بقوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لأنه لا معبود حق إلا الله تعالى .

ثم بين تعالى شيئاً من صفاته الدالة على استحقاقه للعبادة ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي هو الدائم الباقي الحي القيوم الذي لا يموت كما قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٣٧) وفي الآية دليل على فناء كل شيء إلا الله تعالى وما ورد الدليل بعدم فناءه وعُدّ منه ثمانية نظمها بعضهم بقوله :

هي العرش والكرسي نار وجنة وعَجَب وأرواح كذا اللوح والقلم

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ له الملك والتصرف والقضاء النافذ في الخلق ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ يوم معادكم فيجزىكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وختمت هذه السورة الكريمة المباركة بقوله : ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ للتذكّر بالمرجع والمآل والبعث والحساب والجزاء والثواب ، وكل هذا يحمل على الصبر على الأذى ويحمل على التزود بالتقوى .

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة لمن اتقى الله وآمن به .
- ٢ - العلو في الأرض والفساد فيها من خصال المنحرفين عن منهج الله تعالى .
- ٣ - علم من أعلام نبوته حيث أخبر بالغيب فوق كما أخبر .
- ٤ - بيان شيء من طرق الدعوة إلى الله تعالى .
- ٥ - تحريم معاونة الكافرين ومناصرتهم لاسيما ضد المؤمنين .
- ٦ - وجوب الصبر والثبات على الدعوة .

القيم المستفادة :

- حب الله تعالى .
- الطاعة .
- الصبر .



س ١ : أجب عما يأتي :

١- بم بشر الله تعالى النبي ﷺ - ؟

.....

٢- ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ؟

.....

.....

س ٢ : علل ما يأتي :

١- إرسال الله تعالى للرسول عليهم الصلاة والسلام .

.....

.....

٢- تسمية الحسنه والسيئة بذلك .

.....

.....

س ٣ : بين معاني الكلمات التالية :

١- الدَّارُ الْآخِرَةُ :

٢- فَرَضَ عَلَيْكَ :

٣- إِلَىٰ مَعَادٍ :

س ٤ : الإشارة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ لـ.....

س ٥ : ختم السورة بقوله تعالى ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ يحمل على.....
والتزود بـ.....

قائمة المراجع:

- ١ - في ظلال القرآن المؤلف : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى : ١٣٨٥هـ) الناشر : دار الشروق - بيروت - القاهرة الطبعة : السابعة عشر - ١٤١٢ هـ (المجلد الخامس)
- ٢ - فتح القدير المؤلف : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى : ١٢٥٠هـ) الناشر : دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب - دمشق ، بيروت الطبعة : الأولى - ١٤١٤ هـ (المجلد الرابع)
- ٣ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير المؤلف : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية الطبعة : الخامسة ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م (المجلد الرابع)
- ٤ - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (جزء ١٣)
- ٥ - تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) المحقق : محمد حسين شمس الدين الناشر : دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة : الأولى - ١٤١٩ هـ (الجزء السادس)
- ٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى : ١٣٧٦هـ) المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (الكتاب في جزء ١ فقط)

٧ - تفسير المراغي المؤلف : أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى : ١٣٧١هـ) الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة : الأولى ، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (جزء ١٩)

٨ - تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (جزء ١)

٩ - صفوة التفاسير المؤلف : محمد علي الصابوني الناشر : دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (الكتاب في جزء واحد)

١٠ - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق : محمد زهير بن ناصر الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ

١١ - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى : ٢٦١هـ) المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٢ - لسان العرب المؤلف : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى : ٧١١هـ) الناشر : دار صادر - بيروت الطبعة : الثالثة - ١٤١٤هـ

١٣ - البداية والنهاية المؤلف :أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي
(المتوفى : ٧٧٤هـ) المحقق : علي شيري الناشر : دار إحياء التراث العربي الطبعة : الأولى
١٤٠٨ هـ ، - ١٩٨٨ م (الجزء الأول)

